ذكرياتي عن

حضرة بهاء الله

تأليف

استاد محمد علي سلماني

ترجمها من الإنكليزية الى العربية

سيفي سيفي

حقوق الطبع محفوظة

سنة الطبع 155 بديع 1998 ميلادي

الناشر

مؤسسة مطبوعات مرآة نيو دهلي

نبذة عن حياة الكاتب

(محمد علي سلماني)

من رفاق حضرة بهاء الله الثابتين، ممن اختارهم لمرافقته في نفيه من بغداد الى استنبول، سنة 1863م. يخبرنا (محمد علي سلماني) في مذكراته القصيرة هذه عن حكايته، ويعطينا صورا حيّة وواضحة عن بداية تاريخ الديانة البهائية.

كما يخبرنا هذا الحلاّق الجريء، عن عذاباته ومعاناته، عندما كان بابيا، وعن رحلته من بلده الى بغداد، وكيف تشرّف لأول مرة بلقاء حضرة بهاء الله. ويكتب أيضا، عن رحلة النفي من بغداد الى استنبول، وحياة المنفى في العاصمة العثمانية، وقصة النفي البعيد الى أدرنه، وما لاقاه المنفيون من مشاكل ومصاعب هناك، وعن مأموريته التي كلفه بها مولاه في استنبول، وعن كيفية إلقاء القبض عليه هناك، وإعادته مقيدا ومخفورا الى إيران. وعن عدم احتماله كبح جماح محبته لمولاه، وعودته الى شطر السجن الأعظم (مدينة عكاء)، مشياً على الأقدام، ومشاركة محبوبه سجنه هناك.

كان سلماني، رجلا بسيطا، وذكرياته مع حضرة بهاء الله تتنقل بين حوادث متفرقة. لذا يجب أن لا تؤخذ هذه الذكريات إلا كملاحظات رائعة لزياراته لمولاه، حيث تتجلى لنا قوة إخلاصه لمحبوبه.

المقدمة

الى الباحثين في تاريخ الديانات المتقاسمة لمعتقدات مشتركة مستمرة. إن الفترة الانتقالية بين ظهور سابق وآخر لاحق، تعتبر فترة ذات أهمية كبرى. فالشعور بذلك التحول، غالبا ما يكون متأرجحا في عقول الذين خاضوا تلك التجربة، فتارة، تراهم مستعدين للجديد، وأخرى لمّا ينسلخوا عن القديم بعد. فتجاربهم مع القديم تحد من فهمهم واستيعابهم للجديد. لذا يمكن اعتبار أصغر دليل يسلط الضوء على قدرات الإنسان المتنامية للظهور الجديد، وثيقة تاريخية نفيسة.

إن ميلاد الحركة البابية، من الاعتقادات والنبوءات القديمة لشيعة المسلمين، وان الانبثاق التدريجي للظهور البابي والإدراك المطّرد لانسلاخها عن الإسلام، والانتقال الذي حدث فيما بعد، من الظهور البابي الى الظهور البهائي، كلها وقائع حديثة الحصول. ومع ذلك، لم يسلط التاريخ ضوءه الكامل بعد على تلك المراحل العصيبة لذلك التقدم، ومن المحتمل أن ذلك يعود الى طريقة الإدراك الخاطئة المتوارثة من الماضي القديم لمفهوم التاريخ، للعديد من معاصري ذلك الزمن.

لم يبدأ تدوين التاريخ الإسلامي المنظم، إلا بعد ثلاثة قرون من ظهوره، بينما ابتدأ في وقت مبكر جدا تجميع المعلومات

التاريخية عن حياة الرسول محمد(ص)، على شكل سيرة وأحاديث شريفة، باعتبارها عنصرا ضروريا لتقدم القضاء في المجتمع الإسلامي. وبمرور القرون اتضح أن ما نقل عن الفرق الإسلامية غير كاف. إذ أن عملية إضفاء صفة الشرعية على الأحاديث، هي سابقة تاريخية صحيحة، كما أن الفترة التاريخية المتصلة بحياة مؤسس الديانة الإسلامية، كان لها دور عملي وثقل قيم، في ترتيب وتنظيم قيادة المجتمع. وفي المقابل، كان عدم الاتفاق على بعض الأحاديث الصحيحة، والاعتماد على بعض الأحاديث الموضوعة، سببا في تفرقة وحدة الصف الإسلامي.

لم يشجع حضرة بهاء الله، في شريعته، جمع أحاديثه، منعا لسوء الاستعمال، وحتى لا تتخذ فيما بعد، شكلا قانونيا يتشابه مع نصوص أحكامه الثابتة، كما وانه منع معهد أمره الأعلى من سن القوانين الأساسية. ولم يستطع العديد من البهائيين القدماء، من ذوي الأصول الإسلامية، تمييز قيمة الحديث وأهميته التاريخية، واعتبروا ذلك تحريما من حضرته، فامتنعوا عن تسجيل ذكرياتهم عن حياته.

ومن هذا المنطلق، يجب أخذ مذكرات استاد محمد علي سلماني، كمذكرات متفرقة، إذ أنها شيء نادر لمصادرنا التاريخية. وخلال سني نفي حضرة بهاء الله العصيبة من بغداد الى أدرنه ثم

الـى عكـاء، رافـق سـلماني حضـرة بهـاء الله، كحـلاّق خـاص لـه. واستطاع هذا الروح الثائر الأمي، والمتقد بنار محبة مولاه، التغلب على رواسب الماضي والتمسك بعظمة الظهور الجديد.

كـان ذا شخصـية جذّابـة، ومـن عامـة النـاس، أمـيّ، لكنـه سـريع البديهـة، مقـدام، لطيـف بغيـر حـدود، سـليم الطويّـة، لا يعـرف المخادعـة، صـاحب مواهـب شـعرية حقيقيـة، نـافس بهـا شخصـيات تاريخيـة مشـهورة، أمثـال، حـلاّق بورماشـيه المشـهور، ومـوزارت وروسيني. إن موهبته الشعرية التي طفحت بسبب محبته لحضرة بهاء الله، وضعته في أعلى قائمة أسماء من كانوا أكثر منه علما وثقافة، من الشعراء البهائيين. فأكثر أشعاره تحمل الحب الحقيقي والعاطفـة الصـادقة بطريقـة مجازيـة نثريـة لـم تفسـدها الأسـاليب البلاغية المنمقة.

يجب أن لا نتوقع من مذكرات وانطباعات استاد محمد علي سـلماني، الحصـول علـى قـراءة تاريخيـة موضـوعية، بـل هـي انعكاسات قيّمة للاستجابات الإنسانية، للفترة الانتقالية بين الشرائع السماوية. إن مـا يستفاد منـه هنـا، ليس كنـوزا عظيمـة من جديد المعلومات فحسب، بل شرائح جليّة من العقود الأولى لهذا الدين، حيـث يظهـر للعيـان، المواقـف الحقيقيـة الصـلبة لـبعض البـابيين

الأوائل، من ورع وتقوى وحماس وثبات بطولي، واستعداد للتضحية بالنفس والنفيس.

إضافة الى ما ذكر، توضح هذه الصفحات، التناقض والبون الشاسع، بين شخصية صبح أزل، الضعيفة الرعديدة الجبانة، وبين عظمة وجلال حضرة بهاء الله.

أمين بناني

حزيران 1982

ملاحظة لابد منها

هنالك كتب نادرة لها مذاق شيّق، قلما يتذوقه القارئ في كتب أخرى، منها هذا الكتاب، الذي يسلط الضوء على جانب من بداية تاريخ الديانة البهائية، لم يتطرق له كتاب آخر من قبل، حيث نجد فيه صورا واضحة جميلة، لفترات يتشوق لأيامها وساعاتها كل مؤمن. فيصف لنا كاتبه الروحاني، تجربة لقاء ومصاحبة المظهر الإلهي، التي لا ينعم بها إلا من اختارهم الله لذلك، وتأثيرها العميق في حقيقة وجوهر روحه.

نلاحظ، أن في سرد جناب محمد علي سلماني، للقصص والحكايات والمذكرات، بعض التخلخل وعدم التناسق، والتقديم والتأخير في ذكر الأحداث والتواريخ والأماكن. وفي اعتقادي أن ذلك يعود، وكما يبدو، للفارق الزمني بين وقت الأحداث، وزمان تدوينها، حيث يتضح ذلك جليّا، بذكره تسلسل أسماء المناطق والمدن والأحداث، لسير موكب حضرة جمال القدم (بهاءالله)، من بغداد الى استنبول.

لذا حاولت، وبمساعدة بعض، ترتيب ما استطعنا عليه من أسماء الأماكن حسب مواقعها الصحيحة، قدر الإمكان، في حواشي الكتاب، وترك مسيرة الأحداث كما وردت في الكتاب الأصل، دون تدخل. حيث أن التصرف بها، سيذهب بأسلوب

الكاتب ويضيع القصد من وراء هذه الترجمة، فيما لو تصرفنا به لتغيّر معناه، وضاع أسلوب الكاتب الأصلي بعد ترجمة الكتاب الى لغتين على التوالي.

آملين أن نكون قد وفقنا بإيصال مادة وروح ما أراد الراوي إيصاله الى القراء، بالرغم من أسلوب السرد.

ترجمة وتنضيد وتنظيم

سيفي سيفي

يناير / 1997م

ملاحظة:

إن النصوص المباركة الوارد ذكرها في الكتاب، عن لسان الهياكل المقدسة، (حضرة بهاء الله و حضرة عبد البهاء)، توضح المعنى فقط، وليس الترجمة الحرفية.

ذكرياتي عن

حضرة بهاء الله

بقلم

استاد محمد علي سلماني

ترجمتها من الفارسية الى الإنكليزية

مرضية كايل

وترجمها من الإنكليزية الى العربية

سيفي سيفي

اليمن / صنعاء / 1997م

مذكراتي

ولدت في مدينه أصفهان سنه 1835م، عند تولي محمد شاه زمام الحكم في إيران، لأب يدعى محمد إبراهيم أصفهاني، امتهن الحياكة، أمي لا يقرأ ولا يكتب، شيعي اثني عشري متعصب يخشى الله كثيراً.

والدتي اسمها مريم ومن مدينه أصفهان أيضا، كانت في الثلاثين من عمرها عندما غادرت هذا العالم، ذهبت وخلّفت وراءها أربعة أبناء. تزوج والدي بعدها من امرأة أخرى ورزق منها ولدا.

لم يسبق لأحد من أفراد عائلتنا أن امتهن الحلاقة من قبل، ولكن والدي أرسلني لأعمل أجيرا في محل للحلاقة عند رجل ورع طيب القلب يدعى استاد إسماعيل، كان عمري آنذاك تسع سنوات. فصرت أرافقه الى الحمّام العمومي كل صباح حيث يزاول مهنته، ثم أعود لأكمل بقية اليوم في العمل معه داخل المحل. عند بلوغي سن العاشرة، تركته ورحت اعمل حلاقا متجولا في سوق صباغي الملابس القطنية، وهو من أسواق مدينة أصفهان الشهيرة آنذاك، ولم اعمل في محل معين بشكل ثابت منذ ذلك الحين.

لم يمض على تركي محل معلمي وقت طويل، حتى توفي والدي بمرض الكوليرا، وكان رأسه ساعتها على صدري. ذهب وترك أثرا بالغا في نفسي لا يمكن وصفه، كما توفي معه احد إخوتي. لم يخلف لنا شيئا بعد وفاته فكان علي العمل لإعالة إخوتي وزوجة أبي لتوفير احتياجاتهم.

من بين العديد من البابيين الذين يقطنون أصفهان، كان لي بعض الأصدقاء منهم ممن سكنوا حارتنا، اشتهروا بالورع والتقوى والطهارة، أمثال استاد أقا بزرك أصفهاني وأولاده المؤمنين الأربعة. وطحّان بابي اشتهر باسم "منقي القمح"[1]. جهّز بعض هؤلاء البابيون أنفسهم بما يحتاجونه للسفر، وشدوا الرحال صوب قلعة الشيخ طبرسي للمشاركة في الدفاع عنها. كنت على معرفة شخصية بثمانية منهم.

في سن الحادية عشر من عمري، شَرَّفَ حضرة النقطة الأولى (الباب) بمقدمه مدينة أصفهان، وسكن منزل إمام الجمعة – وكان رجلا محترما –. في البداية لم تكن هنالك ضجة كبيرة عن حضرته، وكل ما سمعناه عنه، أن سيداً اسمه ميرزا علي محمد يكتب بسرعة مذهلة درجة انه ينتهي من كتابة صفحة كاملة وحبر بدايتها لما يجف بعد.

بعد فترة طويلة من وفاة والدي، قرر احد أقربائي تزويجي. وكان لدى احدهم ويدعى الحاج عبد الحسين علاّف، بنت جميلة. ذات ليلة، دعا هذا الرجل الى بيته جمعاً من الأصدقاء وكنت من ضمنهم، فقام مخاطبا الحضور في نهاية الجلسة، وقال: (يا ضيوفي.. إن الغرض من إقامة هذه الحفلة، هو مشاركتكم لي مناسبتي الخاصة. سبق وان طلب عدد من الأفراد يد ابنتي للزواج منها لكني لم أوافق على ذلك – وذكر بعض أسماء الحاضرين – فأيّد كلامه من جاء ذكرهم وأكدوا صحة ذلك. واستطرد الحاج قوله، أما الآن، فانا أقدم ابنتي مع عظيم سعادتي ومن كل قلبي زوجة لمحمد علي).

ارتبكت بشدة لما سمعته، وقمت تاركا المجلس خجلا. فإتفق الحاضرون على مساعدتي بعدما علموا بفقر حالي. شئت أم أبيت، زوجوني البنت وكنت في السابعة عشر من عمري. بعدها رزقنا بطفل، وخلال هذه الفترة أعلنت إيماني وأصبحت بابيا.

حكاية إيماني

أما حكاية إيماني فكانت كالتالي..

في بداية حياتي وشبابي كنت شديد الملاحظة والنباهة، اترك أذني وعيني مفتوحتين دائماً، وامضي الوقت الطويل أفكر بكلام علماء الدين وأفعالهم التي أمقتها بشدة، لعلمي بفسق وفجور أبنائهم، كما أنهم أنفسهم كانوا قساة وظلمة لا يعملون بما يأمرون الناس به.

كان الحاج ملا محمد جعفر من مدينة آباده أنموذجا حياً لمثل هؤلاء. فمن ضمن أعماله القبيحة العديدة التي شهدتها بنفسي؛ إن سيدة شابة جميلة أرملة، حدث أن وقعت في مشكلة، فجاءت إليه تطلب مساعدته. دخلت عليه وانحنت أمامه وشرحت مشكلتها.

فقال لها: (عليك بتعييني وصيّا عليك).

أجابت المرأة بلطف وثقة: (يا سيدي.. عينتك وصيّا عليّ بكامل الصلاحيات).

أجابها الملا: (الآن.. أنت تحت سلطتي اذهبي وادخلي جناح حريم بيتي).

أدركت هذه السيدة الذكية سيئة الحظ بسرعة، المأزق الذي وقعت فيه. فراحت تشرح وتؤكد له حسن سيرتها وسمعتها بين الناس. وقالت: (يا سيدي.. أنا موافقة.. لكن عليك حضور حفلة عرس صغيرة أقيمها في منزلي أولا، ثم أزف بعدها كعروس لك).

انطلت الحيلة على هذا الأحمق الغبي، وذهب لزيارتها حسب الموعد المحدد. فاغتنمت السيدة الفرصة وسلطت عليه من أشبعوه ضرباً وركلاً، ولقنته درساً قاسياً، ورمت به خارج دارها. فلم يستطع الملا صباح اليوم التالي إظهار نفسه للعامة بسبب ما حل به في الليلة الماضية مدعيا المرض. لكني كنت عالماً بحقيقة الموضوع.

من ضمن من التقيتهم ورافقتهم من المتعلمين والشعراء، ميرزا حما الشاعر، ورجل بابي آخر طيب القلب، يدعى ملا علي، عاد من قلعة الشيخ طبرسي خائبا، بعد ان وصلها متأخرا، ولم يتمكن من المشاركة في الدفاع عنها جنبا الى جنب مع بقية المدافعين الأبطال، وعانى بعدها الكثير من الاضطهاد والعذاب كونه بابياً. وبسبب صداقتنا، جاءني شاكيا بعد أن اغتصب أقرباؤه بيته واستولوا عليه وتركوه بلا مأوى، وقال لي: (لم يعد لي بيت) فأجبته: تعال واسكن معي في بيتي. فوافق على ذلك.

كان ينتظرني في السوق مساء كل يوم لنذهب الى بيتي معا. وذات يوم ونحن في طريق عودتنا، قال لي: أقا محمد علي.. عرفتك رجلا طيبا، وأود أن أقول لك شيئا.

قلت: تفضل.

قال: أنا بابي.

قلت: ليكن ذلك. لا شأن لي بدين الآخرين، أنا صديقك وكن أنت كما تشاء.

وانتهى الموضوع عند ذلك الحد.

بعد فترة، فكرت انه من الأفضل لي الاستفسار من ملا علي عن أهداف البابيين وما يقولون ويفعلون. فقلت له ذات يوم ونحن نسير معا : (سبق وان أخبرتني انك بابي. فهل تفهم معنى ذلك أم لا؟).

قال: نعم أفهم.

قلت: سأسألك سؤالا واحدا فقط، وأريد منك جوابا بجملة واحدة لاغير.

قال: تفضل.

قلت: ماذا يقول هذا السيد الملقب بالباب في موضوع وحدانية الله؟

فكّر الملا علي قليلا، ثم أجاب: (يقول: لا يمكن لأحد أن يصل الى عالم الحق. فالله هو الله والخلق هم الخلق).

تأثرت كثيراً حال سماعي جوابه؛ وسجدت في نفس المكان واضعا رأسي على الأرض، وقلت: (إن هذا الرجل حق).

ومنذ تلك الساعة، بدأت بالبحث والاستقصاء عن الدين الجديد، وشيئاً فشيئاً آمنت ورحت التقي بالبابيين.

حدث أن ذهبت في شهر رمضان، لزيارة أقا محمد جواد نجف آبادي في منزله، وكان رجلاً بابيا مخلصاً صادقاً وشعلة من الحماس، وبعد دخولي منزله، حدث أن انتبه الجيران لجلستنا، فاقتحموا البيت، وألقوا القبض علينا واقتادونا الى دار الحكومة.

كان الحاكم خان لار ميرزا احتشام السلطنة، أميرا متعطشا للدماء، فاودعنا نحن البابيين الخمسة السجن لمدة شهرين. وفي تلك الأثناء، حدثت أزمة غذائية كبيرة ارتفع على إثرها سعر رغيف الخبز بشدة، وراح الناس يتوافدون للاعتراض عليه كل يوم، ويقدموا شكاواهم لصعوبة الحال، ويطالبوه – في نفس الوقت –

بالتخلص منّا قائلين له: (اقتل هؤلاء البابيين، الى متى تحتفظ بهم؟).

كنّا خمسة، الأول محمد جواد، وهو كما ذكرت رجل طيب القلب كبير السن، قضى شطراً كبيراً من عمره متجولا في مناطق أصفهان مبلغاً للأمر، والثاني عبد الكريم أصفهاني، وهو الآن من الناقضين للعهد[2]، والثالث محمد صادق شقيق عبد الكريم؛ بابي فاتر الهمة ضعيف الأيمان؛ والرابع الملا علي، الرجل الذي بلّغني الأمر، صاحب الأخلاق العالية والقلب الطاهر، أما الخامس فهو انا.

جلسنا نتشاور مع بعضنا البعض للاتفاق على طريقة وقصة واحدة نتمسك بها لنرويها عند التحقيق حتى لا يمكن لأحد منّا نكران التهمة الموجهة إليه؛ وفي النهاية، توصلنا الى الخطة التالية:-

اتفقنا قبل كل شيء إبعاد محمد صادق من بيننا، لضعف إيمانه وعدم ثباته على الأمر. لذا اخبرنا السجّانين بأنهم القوا القبض عليه خطأً، فنجحت خطتنا وأطلق سراحه بعد فترة وجيزة، وبقينا نحن الأربعة فقط.

قال محمد جواد، يمكنكم ترك الموضوع برمته على عاتقي، فأنا رجل كبير السن وفي أواخر سني حياتي وسيقتلونني ويطلقون سراحكم.

رفضنا اقتراحه جميعا، وقلنا له: لا يهم ما سيحدث، فجميعنا شركاء في القضية وسنبقى كذلك.

بعد فترة، استدعانا الأمير، فمثلنا أمامه مع عدد من اللصوص السجناء. وبعد أن أصدر بحق اللصوص حكمه. التفت الى أقا محمد جواد، وسأله:

هل أنت بابي؟

أجابه: نعم.

فالتفت الى ملا علي، وسأله: وأنت أيضا؟

أجابه ملا علي: بالتأكيد.

ووجه الأمير نفس السؤال لي ولعبد الكريم، وحصل على نفس الجواب.

عندها صاح آمرا: خذوهم الى ميدان الشاه (الميدان العام)، واقتلوا ملا علي ومحمد جواد، واجدعوا أنف وأذان كل من عبد

الكريم ومحمد علي، ثم طوفوا بهم في أسواق المدينة الأربعة. فأخذنا الجلاّدون لتنفيذ ما أمروا به.

عند وصولنا الى الميدان العام، تصادف مرور رئيس الشرطة محمد صادق، وكان رجلا طيباً، سبق وان تعارفنا من قبل، وحالما شاهدته، خاطبته بقولي: (يا سيدي.. أنت شاب أيضا). وكان هذا كل ما قلت له. فعرفني، وراح يتبعنا.

وحدث خلال سيرنا أن بدأ ملا علي بالغناء والرقص وترديد الأشعار، فقال له أقا محمد جواد: بامكاننا ترديد العديد من هذه الأشعار والكلمات. لكن علينا أخذ حياة صاحبينا بنظر الاعتبار، خشية سفك دمهما هدراً. فأسكتت هذه الكلمات ملا علي ولم ينطق بعدها بشيء.

بوصولنا الى مشهد الفداء، وبينما كان الجلادون منشغلين بتقطيع أطراف اللصوص، راح أقا محمد جواد وملا علي، يخاطبان جموع الحاضرين، ويقولان: (يا أيها الناس، لم نفعل شيئاً منكراً، جريمتنا الوحيدة، هي إيماننا برجل من آل البيت أعلن انه القائم الموعود).

جاءت لحظة الشهادة.. !! فتمدد أقا محمد جواد على الأرض، بعد أن خلع عمامته ووضعها تحت رأسه، ونادى على جلاده:

(تعال يا جلاد... وافعل ما تشاء). وفعل الملا علي الشيء ذاته. فتقدّم الجلاد، وقطع رأس أقا محمد جواد، ثم رأس ملا علي. وعندما حان دوري، تقدم رئيس الشرطة من الجلاد، وقال له: (اقطع قليلا بما يفي تنفيذ الحكم). ففعل الجلاد ما أمر به، لكنه قطع جزءاً كبيراً من أذن وانف عبد الكريم. أخذونا على إثرها، وداروا بنا في المدينة، ثم أعادونا الى السجن. فجاء أهلنا في نفس الليلة وأخرجونا. فدأبت على معالجة انفي وأذني حتى اندملا.

أدركت في النهاية، إن مدينة أصفهان لم تعد مكانا يليق بإقامتي، فكلما فكّروا في اعتقال بعض البابيين، القوا القبض علي معهم، إذ أن غالبية أهل المدينة يسفرون بعداوتهم لي. فأخبرت عبد الكريم، أني تارك أصفهان. وجمعت حاجياتي وجهزت نفسي وأخذت ما عندي من مال وتركت المدينة بلا عودة.

مغادرتي أصفهان

خلال إقامتي في أصفهان، جاءني صديق من بغداد يحمل قصيدة مطلعها:

يا من حملت هذا الكأس لي
من مَكان سرمدي
أبعد عن وجهك القناع

لم يطلعني صديقي على اسم كاتب هذه الأبيات. لكني قلت له: إن غاية الشاعر من هذه القصيدة ليس التأليف فقط، ان في ذهنه مقصداً آخراً. وعلمت فيما بعد أن المؤلف هو حضرة بهاء الله نفسه.

من الشخصيات التي اذكر زيارتها لأصفهان أيام إقامتي فيها، رجل يدعى ميرزا سليمان قلي، جاء من العاصمة طهران وبلّغ الأمر للعديد من الناس. وكان على درجة كبيرة من الإيمان والعزيمة الروحانية، لكنني لم ألتق به.

وحدث في أيام حياة حضرة بهاء الله، أن جاء الى أصفهان رجل أعمى، من الهند[3] – لم ألتق به أيضا – لكني علمت أن الجميع أثنوا على قدراته العقلية وخبراته المتعددة وسعة علمه، واستطاع إيصال الكلمة الى الكثير من الناس وبلّغ العديد منهم. ومن جملة المدن التي زارها مدينتا طهران وبروجرد، مقر إقامة

الأمير ألدرم ميرزا، الذي قام على قتل هذا الرجل فيما بعد. في إحدى المناسبات، كنت في محضر الجمال المبارك، عندما تفضل: (إن هذا السيد قد عرفنا).

وعاش في أصفهان آنذاك أيضا، رجل يدعى سيد إسماعيل اردستاني، تشرّف لاحقاً بمحضر حضرة بهاء الله في بغداد. وساعة تقديم الشاي للسيد إسماعيل، اغتنم الفرصة، وسأل مضيفه، وقال: يا مولاي.. ألا تأمرهم بتقديم الشراب الروحاني لي؟! والحقيقة عندما خرج من المحضر المبارك كان على درجة كبيرة من التغيير الروحاني.

ذات يوم، وبينما كان سيد إسماعيل في طريقه الى منطقة الكاظمية – وتقع خارج بغداد – توقف في منطقة تدعى قمبر علي، وأخرج مدية من جيبه وقطع بها حلقومه. عندما سمع حضرة بهاء الله بالخبر، تفضل: (كان لابد لهذا السيد من الوصول الى هذا المقام)[4].

تحركت مسافرا من أصفهان مع عبد الكريم وأحد البابيين القدماء في قافلة ضمت مجموعة من الزوار الى مدينة كربلاء، وكان معنا خمسة من الاصفهانيين استطعت تبليغهم الأمر المبارك خلال الطريق. وبوصولنا الى بغداد، افترقنا كل الى وجهته.

في بغداد

وصلت بغداد قبل سنة واحدة من مغادرة حضرة بهاء الله لها سنة 1863م. ولم يكن قد أعلن أمره المبارك بعد، بينما كانت كل أقواله وأفعاله تشير الى انه مظهر الهي. لكنه لم يصرح في كل ما تفضل به (إنني هو..!).

ذهب للمحضر المبارك، من يعلن عن وصول جماعة المسافرين، وعند دخولنا وجدنا ميرزا أقا جان وميرزا محمد قلي. فألقينا التحية على الحاضرين. ومن أول لمحة مني لحضرته، سَلبت طلعتهُ البهيّة لُبي وأسرت قلبي تماماً، وأدركت أن هذا الجناب يختلف ويسمو على الآخرين في كل شيء، غير اننا لم نعرف عنه أكثر من انه قائد جامعة البابيين. وعلى كل حال، فالجلال والعظمة التي وجدتها على محيّاه المبارك أقنعتني انه كل شيء.

أما بالنسبة لاقامتنا، فقد أمر حضرته بنزولنا في أحد الخانات، وسكنت مع اثنين من المؤمنين، هما: أقا ضياء أصفهاني وعبد الكريم.

* * *

من عادة الجمال المبارك أيام إقامته في بغداد، شرب فنجان من الشاي في جزء بيته الداخلي ثم يتركه للقسم الخارجي المكوّن من غرفة واحدة نظيفة مرتبة، شيّدها أستاد إسماعيل البنّا الكاشاني الذي توفي فيما بعد في عكاء.

وهكذا.. يدخل حضرة الجمال المبارك، الغرفة ويشرع بالمشي ذهاباً وإياباً، وهنا يتشرف الأصحاب بمحضره المبارك. يبقى هكذا حوالي الساعة ثم يتوجه الى مقهى عام، يتردد عليه كل يوم، تعود ملكيته لمختار أحد أحياء مدينة بغداد القديمة، واسمه سيد حبيب عرب – وهو رجل طيب متواضع لكنه غير مؤمن بالأمر – حيث يتشرف بمحضره هناك عامة الناس. وكان من ضمن الخدم الدائمي الحضور بين يديه في المقهى، أقا نجف علي وأقا محمد إبراهيم وأنا معهم في بعض الأحيان.

في هذا المقهى، يتناول حضرته كل يوم قهوة الصباح، ثم تُجهّز نارجيلته البهبهانية الخاصة به، إلا انه لا يدخنها إلا نادراً[5]، بينما يجلس حضرته طوال الوقت يتجاذب أطراف الحديث مع جلاّسه، وكانت هذه طريقة رائعة لنشر الأمر المبارك.

بعد أن يقضي حضرته حوالي الساعة في المقهى، ينهض ليعود الى غرفته في جناح بيته الخارجي، حيث يجلس حتى العصر، ليعود بعدها للمقهى حتى المغرب. بعد ذلك، يرجع الى

القسم الداخلي من بيته وأحياناً الى الخارجي، حيث اعتاد الأصحاب الجلوس معاً، حتى ما بعد الغروب بساعتين، ثم يتفرقوا كل الى وجهته.أما حضرته فكان يشاركهم جلساتهم تلك في بعض الاحيان.

أما بخصوص المقهى، فكان يَؤمُهُ العلماء والقضاة والحكام وكبار رجالات بغداد، ليقدموا أنفسهم لحضرته بكل احترام وتقدير. وكان جميع سكان بغداد وغالبيتهم من المسلمين السنّة، يتكلمون عنه فرادى وجماعات بغاية الاحترام والتقدير، وفي كثير من الأحيان يتقدمون لحضرته بأسئلة ومسائل صعبة يطلبون أجوبة وحلولا لها. مع كل ذلك، فلم يذهب حضرته لزيارة أحد في بيته، كما انه لم يجالس حاكم بغداد نامق باشا.

ذات يوم، تشرّف عدد من المؤمنين من قرية سلطان آباد، وإذا بكبيرهم (الملا باشي)، يطرح على حضرته سؤالاً، قال: (يا عمو[6]. أنت هو.. فلماذا تتركنا نتخبط هكذا في هذه الحياة الصعبة؟).

قررت البحث عن طريقة أخدم بها حضرة بهاء الله، فذهبت مع اثنين من المؤمنين الى حمّام عمومي يتردد عليه حضرته يدعى حمّام لطيف[7]، ويعمل فيه حلاّقان يقومان على خدمة حضرته، الأول هو الحاج بشير والثاني عبد الرحمن البغدادي. قدمني

الأصدقاء الى الحاج بشير كزميل في المهنة، وبأني على خبرة ودراية جيدة بها.

طلب الحاج بشير مني العمل معه بشرط موافقة حضرة بهاء الله على ذلك. وقال انه سيذهب إليه بنفسه للحصول على الموافقة. ففعل، وقال: (أريد أن يعمل خادمك معي). أجاب حضرته: (حسن جداً). فعاد بشير يزف لي البشرى.

في اليوم التالي، وقبل حضور حضرة بهاء الله الى الحمام، جاء أقا نجف علي – الذي استشهد فيما بعد بطهران – وأقا محمد إبراهيم النيريزي، وهو رجل محترم، وهما يحملان الصابون وصبغة الشعر، فتركاها وانصرفا.

جهزت لحضرته المكان المناسب، وانتظرت وصوله.

بعد وقت قليل.. شرّف حضرته المكان، وتقدم ليجلس على الدكة في الوسط، فجاء الحلاّق عبد الرحمن، وتقدم منه ليحلق له خلف رقبته وما دونها بقليل وبطريقة يفضلها أشراف تلك الأيام، كما حلق ما تحت ذقنه. فوقفت أراقب عمل الحلاّق، ولاحظت آن حضرته كان دقيقاً جداً. فقد رفع يديه مراراً، ليشير الى أماكن معينة من جسده المبارك، متفضلاً: (احلق هنا.. واحلق هنا..).

وهكذا بقيت أراقب الحلاّق، وهو يؤدي عمله. بعدها جاء دوري للعمل، وجيء بالماء وعاملت شعر رأسه المبارك مرتين أو ثلاثاً بالصابون الحلبي، ثم قام بعدها، لينسحب الى المكان المخصص لاستعمال الحناء، ولدلك جسده المبارك بقفاز قماش خشن الملمس في نفس الوقت. ثم جلبت له مناشفه الخاصة. وبينما هو قائم على تجفيف جسده، تمدد حتى أتمكن من وضع الحنّاء على لحيته، ثم اعتدل للجلوس، فوضعت الحنّاء على شعر رأسه المبارك، ثم تمدد ثانية، فوضعت مخدّة تحت رأسه، حتى أتمكن من تدليكه بالقفاز، وهنا.. اغتنمت هذه الفرصة، وهو على تلك الحالة، فانحنيت لأقبل قدمه مرتين أو ثلاثاً. مرة أخرى، نهض واعتدل في جلسته، فأخذت القفاز الى خلف يديه وذراعيه، عندها أمرني بالإسراع في جلب الماء لغسل جسده. فغسلت الحناء، وأضفت الصبغة السوداء، وعاملت جسده بالصابون ثم غسلته في النهاية. بانتهائه من الحمّام، غادره وتركني غارقا في حالة من السعادة اللامحدودة.

اعتاد المجيء الى هذا الحمام، كل عشرة أيام تقريباً – والذي عملت به شهرين أو ثلاثة – كل من حضرة المولى (عبد البهاء) الغصن الأعظم، وبقية الأغصان، أبناء حضرة بهاء الله، مثل ميرزا مهدى (الغصن الأطهر) والغصن الأكبر (ميرزا محمد

علي) وآخرين غيرهم.. وأقا كليم (ميرزا موسى) أخ حضرة بهاء الله المخلص.

ذات يوم، خاطبني حضرة بهاء الله ونحن داخل الحمّام وتفضل: ستكون ضيفي غداً في الوشاش[8]. ففعلت كما أمرت، وذهبت مثلما فعل العديد من المؤمنين. وفي نفس ذلك اليوم، نزل من قلم حضرة بهاء الله لوح "ملاح القدس"[9].

حدث ذات يوم داخل الحمام، أن اعتدى خادم ميرزا يحيى[10]، بالضرب على ملا حسين أصفهاني خادم أقاي كليم. وبينما كان المعتدي يرتدي ملابسه، وصل حضرة بهاء الله، وبعد أن استفسر منه عن سبب فعلته عنّفه بشدة. فوقع الخادم على قدمي حضرته يطلب الصفح والمغفرة لما بدر منه. وفي النهاية، نال ما أراد. أما بخصوص المجني عليه، فقد خرج من الحمّام واختفى، ولم نعثر له على أثر. فاستدعيت في صباح اليوم التالي الى البيت المبارك، وأمرت بالذهاب والبحث عنه وإحضاره. فبحثت عنه في كل أنحاء بغداد، وأخيرا وجدته وبذلت قصارى جهدي حتى أقنعته بالعودة معي الى البيت، حيث استقبله حضرته وواساه وأسدى له النصح وأرضاه.

وذات مرة، تفضل حضرة بهاء الله يخاطبني، بينما كنت أَهمّ بتدليك جسده المبارك، في إشارة لرحلته الى استنبول: (يا أستاد

محمد علي.. نحن نفكر بالقيام برحلة طويلة. فما قولك في ذلك؟) فكان جوابي أن انحنيت له. وكان هذا كل ما حصل في ذلك اليوم.

بعد يومين، تفضل حضرته، أنه ينوى الذهاب الى دار الحكومة. فأرعبني هذا الخبر. عندها ذهبت وتمنطقت خنجراً وتسلحت بمسدسين وضعتهما حول وسطي، وتوجهت الى مقر الحكومة لأستطلع الأمر. وما أن عبرت الجسر وتخطيت محل الشكرجي سيد حسين أصفهاني بمسافة قليلة، حتى شاهدت أقاي كليم، فأسرعت إليه بعد أن ناداني واستفسرت منه عما يجري، فأخبرني بأنهم استدعوا حضرة بهاء الله لمقابلته.

لم يمض وقت طويل حتى عاد الجمال المبارك ليخبرنا أن الأوامر صدرت من استنبول بتحرك حضرته والسفر الى أية وجهة يختارها في حدود الإمبراطورية العثمانية بعيداً عن مدينة بغداد. وترك لحضرته الخيار بذلك.

وانتشرت شائعة تقول أن السفير الإيراني في استنبول، الحاج ميرزا حسين خان، كان وراء هذا الاقتراح، حيث قال: (بالنظر لمتاخمة بغداد للتراب الإيراني، فان أمر بهاء الله ينمو باطراد).

كما أرسل والي بغداد نامق باشا، الرسالة التالية الى حضرة بهاء الله: (سبق وان وصلنا هذا الفرمان عشر أو اثنتي عشرة مرة من قبل، ولكني لم أخبرك به، وكان ردي عليه في كل مرة هو: "أن بهاء الله قد سكن بغداد لاثنتي عشرة سنة[11] ولم تبدر منه أية مخالفة إطلاقا").

وفي جواب حضرته لمراسل نامق باشا، حول تحديد زمان ومكان لقائهما، تفضل قائلا: (قل لنامق باشا أني لن أحضر الى دار الحكومة، وسآتي الى المسجد المجاور بدلاً عنها. وهناك سأتكلم مع من ترسله الحكومة لمقابلتي).

ذهب حضرته الى المسجد، ووجد نائب الحاكم بانتظاره، ومعه الرسالة التالية: (إن نامق باشا خجل من لقاءك شخصياً. لذا أرسلني نيابة عنه). ثم أخرج الفرمان الحكومي وراح يقرأه.

فكان جواب حضرة المحبوب: (سأذهب الى استنبول). عندها ثبّت هذا الجواب في المحضر رسمياً.

بعد فترة، تفضل حضرته بخصوص الرحلة: (سأذهب بمفردي). عند سماع آل بيته ما تفضل به، بكوا جميعا وناحوا وأصروا على مرافقته، مما دعاه للنزول عند رغبتهم وقبول مرافقتهم له. وتفضل بذكر أسماء من سيبقى في بغداد.

وذات ليلة، جاءني ميرزا محمد قلي، ليخبرني أن حضرته، قد اختارني من ضمن مرافقيه.

بعد عدة أيام، تقدم حضرته الى حديقة نجيب باشا، الواقعة خارج مدينة بغداد، والتي عرفت فيما بعد باسم "حديقة الرضوان"، حيث نصبت خيمته. وهنالك أعلن أمره المبارك.

ومن ضمن ما تفضل به وتكلم عنه؛ مقام حضرة الباب، ووصفه بأنه القائم الموعود، وان الأمر المبارك كان أمره. وأعلن في نفس اليوم وبنفس الوقت وبالطريقة الرائعة ذاتها، عن دعوته هو أيضا. وبقي يتكلم عن دعوة حضرة الباب ودعوته، في كل صباح ومساء، طوال الإثنى عشر يوما التي قضاها في تلك الحديقة.

الرحلة الى استنبول

جاء اليوم الأخير، وتقدم رجل تركي من أهل السنّة، ليأخذ على عاتقه مسؤولية نقل أغراض ومتاع المسافرين وتحميلها على بغاله. ومن ضمن ما شملت القافلة أيضاً ثمانية أو تسعة هوادج[12]. أما حضرة المولى، فامتطى حصاناً، وأوكلت إليه مهمة الاعتناء بالحيوانات ومراقبتها. وامتطى ميرزا محمد علي، حصاناً أيضاً، كما هو حال بعض المؤمنين، أما البقية فقد أنهوا الرحلة مشياً على الأقدام.

أما أنا، فأوكلت لي مهمة توزيع المئونة والمحافظة على معدات وأدوات السفر، فان أحتاج أحد المسافرين شيئاً مما في عهدتي من أغراض ومعدات، فاني أعيرها إياه وأقوم باستعادتها منه بعد انتفاء حاجته منها.

رافقنا في بداية السفر، عدد من المؤمنين الى أول نقاط الرحلة، ثم عادوا أدراجهم، لأن حضرة بهاء الله، تفضل في ساعة الرحيل، بما يلي: (كل من يرافق القافلة بدون إذني، سيبوء بالخسران). ورغم ذلك رافقنا عدد من الأشخاص[13].

كان من ضمن المرافقين لحضرته في سفرته، الأشخاص التالية أسماؤهم: أنا، ومحمد علي خياط باشي الكاشاني ويعمل خياطاً،

وميرزا أقا (رافق القافلة بدون إذن وكانت نهايته مؤسفة)، ونجف علي، الذي رافقنا نتيجة لوساطتي، وأقا محمد علي التتنجي[14] أصفهاني، وعبد الغفار، وأقا محمد صادق أصفهاني، وميرزا أقا جان. كما كان معنا، أقاي كليم، وميرزا محمد قلي، وحضرة المولى، وميرزا محمد علي، وسيد محمد أصفهاني، والحاج ميرزا جاني، الذي كانت حياته في خطر كبير بسبب مشاجرته مع أحد أقرباء ميرزا بزرك خان آلجي، وكان من المؤكد هلاكه لو بقي في بغداد. وضمت القافلة أيضاً، أقا محمد حسن مسافرخاني القمّي، وأقا حسين آشجي – الطبّاخ – وكان آنذاك صغيراً، ويعمل خادماً للبيت المبارك. كما ضمت القافلة أيضاً، أحمد ابن ميرزا يحيى[15].

في كل محطة نصل إليها على الطريق، كان يرافقنا خمسة أو ستة فرسان الى النقطة التالية. وحدث ذات ليلة، بعد أن نصبنا مخيمنا، أن سرق شخص ما، رزمة من خيمة حضرة بهاء الله واختفى. فبحثنا عنه في كل مكان ولم نجد له أثرا.

إن غالبية نقاط التوقف والاستراحة كانت على ضفاف نهر دجلة. وكان حضرة المولى ينزل للسباحة في النهر أكثر الأيام. وكلما توقفنا للمبيت، يتجمع الناس للقاؤنا، فقد انتشر خبر سفر (رئيس البابيين) الى استنبول. وكعرف متبع، كان الحرس،

يمتطون خيولهم ويرتدون لباسهم الرسمي ويضربون الطبول، كلما اقتربنا من نقطة جديدة للتوقف، حتى يتجمع الناس للقاؤنا والترحيب بنا. وحال تجمعهم، يبدأ حضرة بهاء الله بتبليغهم الأمر المبارك.

* * *

أتذكر في بغداد، أن ميرزا يحيى أزل، كان نادرا ما يترك بيته لمناسبة ما، فقد كان دائم الاختباء فيه، وان حدث وخرج، فانه يتخذ كافة الاحتياطات اللازمة، لعدم تعرف الناس عليه واكتشاف شخصيته. لذلك تفضل حضرة بهاء الله، يخاطبه ساعة الرحيل: (قل لي أين تود السفر، وسأخصص لك خادماً لتكون بأمان). فأجاب أزل: يا مولاي.. سأتبعك أينما تذهب. ثم فكّر قليلاً، وأضاف: لكن أرجو أن ترسلني قبلكم لئلا يراني أحد بصحبتكم[16]. لذلك عيّن حضرته، أحد المؤمنين الأعراب الأذكياء لمرافقته، ويدعى زاهر[17]. وهكذا ترك الاثنان بغداد بطريقة لم ينتبه لها أحد. وخلال نقاط الطريق العشر الأولى من بغداد وحتى مدينة الموصل، لم نعثر لهما على اثر.

نصبنا خيمة الجمال المبارك في مدينة الموصل على ضفاف نهر دجلة، واحتشد غالبية الأهالي للقائه والتشرف بمحضره المبارك، وأظهر لهم عظيم محبته وعطفه. كان الناس في غالبية

المناطق التي مررنا بها، يحضرون ومعهم أسئلة يودون الحصول على إجابات عنها. كما شرّف حضرته الحمام العمومي، وقمت على خدمته هنالك. إن جملة ما قضى حضرته في المدينة هو ثلاثة أيام. وهنا في هذه المنطقة، انتبهنا لوجود خيمة صغيرة على ضفة النهر في ركن قصي، يسكنها رجل ضئيل الحجم ذو لحية طويلة بصحبة زاهر. فخمّن بعضنا أن يكون هذا الشخص هو أزل، لكن أحداً من المؤمنين لم يتعرف عليه، لعدم رؤيتهم شكله سابقا.

بعد ذلك، حدث أن جاء أزل الى حضرة بهاء الله، يشكو خادمه زاهر، وقال: (إن هذا الخادم مستقل برأيه ولا يحترمني ولا يلتزم بأوامري.. أما زاهر، فأجاب على تهمة أزل باللغة العربية وقال: (يا مولاي.. إني أتوسل إليك أن تبقى هذا النكرة، بعيداً عن الأنظار، وأن لا تدع الناس يشاهدونه فان فعلوا كفروا).

أعطى حضرة بهاء الله، زاهر بعض المال، وأمره بالعودة الى بغداد، وأمر باقر الكاشي بالتفرغ لخدمة أزل ومرافقته. ولم ينضما لقافلتنا طوال بقية الرحلة.

وباختصار تركنا الموصل وتوجهنا الى كركوك[18] (شمل الطريق عشر محطات للتوقف بين المدينتين)، وفي أول ليلة، توقفنا في منطقة ماردين الواقعة على سفح جبل شاهق، سرق

بغلان من قافلة أخرى تسير بمحاذاة قافلتنا[19]، فجاء صاحب البغلين الى حضرة بهاء الله يشكو ما حل به. فطمأنه حضرته، وقال له: (لن نرحل من هنا حتى نعثر على بغليك). ثم نهض وتوجه نحو المدينة، يخاطب أهلها ويعلمهم بضرورة العثور على دابتي الرجل وإعادتها إليه، فلم يمض وقت طويل، حتى أعيد البغلان الى مالكهما، بعد أن مكثنا في ماردين ثلاثة أيام.

في كركوك، كان يسكن أحد الدراويش ممن شرفّهم حضرة بهاء الله بإنزال لوح الوديان السبعة له[20]. لكنه كان قد توفى قبل وصولنا الى المدينة، وخلّفه ولده الشيخ علي الذي جاء لتقديم نفسه بغاية العبودية والمحبة.. بعد عدة أيام، وصلنا ديار بكر (وكانت هنالك عشر محطات توقف بين كركوك وديار بكر). فنصبنا فيها خيامنا على ضفاف نهر دجلة. وكعادة حضرة بهاء الله لم يدخل هذه المدينة أيضاً. وفي ديار بكر، تقرر أن تسلك القافلة طريق سامسون. كما مررنا بمدينة اربيل[21]، وتوقفنا بها يوما واحداً. وبقي يحيى أزل، يلازمنا كظلنا أينما حللنا، ورويدا رويداً، بدأ الأصحاب يتعرفون عليه، لكني لم استطع ذلك.

* * *

وصلنا سيفاس، وتوقفنا على ضفاف نهر دجلة، وهنا وجب علينا نقل جميع أمتعتنا الى الجهة المقابلة من النهر. فذهبت الى

حضرة المولى، وقلت له: (هنالك فوضى وضوضاء كبيرة على الضفة الأخرى من النهر. اسمح لي بالعبور لأقوم باستلام حاجياتنا). فوافق حضرته على اقتراحي.

عندما ارتقيت سطح المركب، وجدت أزل جالسا فيه، إلا أنني لم أتعرف عليه. وبمجرد جلوسي، التفت إلي، وسألني بفضاضة بالغة، يكره الإنسان سماعها:

- من أين أنت؟

- من أصفهان.

- من أعطاك الإذن بارتقاء هذا المركب؟

- أنا هنا بإذن شخص عظيم.

فقال: الآن، وبما انك جئت الى هنا بدون إذن مسبق. فماذا ستفعل لو ضربتك بهذه الهراوة على رأسك مرتين أو ثلاث (وكان يحمل بيده واحدة)؟ قلت: إن كنت أنا مهذباً، فسأسامحك. ولكن، إذا حصل لي أذى من جراء هراوتك هذه، فسآخذها منك، وأضربك بها بحيث أنسيك شجاعتك. ورغم ان جوابي أثاره وأغضبه، إلا انه لم يتفوه بجديد. وهنا وصل المركب الى الضفة المقابلة. فنزلت، وبدأت باستلام الحاجيات والأمتعة، كما اخترت مكاناً مناسباً لنصب خيمة حضرة بهاء الله حيث مكث لمدة يومين.

* * *

وكما ذكرت سابقا، كان حضرة المولى يذهب في كل نقطة نتوقف بها، للسباحة والاستحمام، وفي هذا المكان بالذات، دعاني للسباحة معه، إلا أنني اعتذرت عن الذهاب، مدعياً إصابتي بالبرد. فتركني وذهب وهو يقول: حسناً إذن...

كما كان أقا جان، يخلع ملابسه في بعض الأحيان، وينزوي في مكان جانبي، ليأخذ حمّامه. وبالمناسبة، فقد استبدل أزل اسمه في هذه المنطقة، واتخذ له إسماً جديداً، هو ميرزا علي.

عندما كنّا في سيفاس، كانت المجاعة منتشرة فيها، والبرد شديد، كما اننا لم نستطع العثور على شعير أو تبن للحيوانات. لذلك، اشترى حضرة عبد البهاء، برسيماً أخضراً ليوزعه على البهائم.

أما حضرة بهاء الله، فشرّف الحمام العمومي، وقمت على خدمته، حيث استحم واستعمل الحناء وصبغة الشعر، ثم عدنا الى المخيم.

في بعض الأحيان، كان يحيى أزل، يزور خلسة[22]، الأجنحة العائلية لحضرة بهاء الله، حيث يتناول طعام العشاء. ووصل علمي ذات مرة، أنه تناول صحنا من الكباب مع البصل (طاس كباب)، وقال مغالطا من حوله، وهو يحاول إفهامهم، أن البصل

اشتبه عليه ليموناً[23]: (هذا طاس كباب رائع، وأنا أفضله مع هذا الليمون).

غالباً ما كانوا يتركون لأزل، أثناء الليل، صحنا عظيما من الطعام، يسلمونه لزوجته التي تحتفظ به، لتقدمه إليه صباح اليوم التالي. في الحقيقة، كان أزل يأكل ما يكفي رجلين. أما أنا فلم أعرفه جيداً إلا هنا.

تشاجرت زوجة أزل مع رفيقة سفرها في الهودج خلال الطريق. وعلى أثر ذلك، نقلت من مكانها الى مكان زوجة ميرزا محمد قلي. وباعتباري مسئولا عن رعاية هودجها، لاحظت أن باقر – خادم أزل – يأتي إليها كل صباح، ليأخذ منها صحن طعام، يقدمه الى زوجها، ليتناوله وهو على صهوة حصانه.

ذات يوم، وكنت جائعاً جداً، انتزعت صحن الطعام من يد باقر، حال مروره بجانبي، وبدأت بتناوله، فشاهد أزل ما حدث عن بعد، وأسرع وهو هائج جداً، ليهاجمني من فوق ظهر حصانه. فلم يكن أمامي مفر، إلا رمي الصحن من يدي، وإطلاق ساقي للريح هرباً منه.

في الحقيقة، إن أزل تشاجر وتخاصم مع غالبية المسافرين في الرحلة وخصوصاً معي. كان رجلاً مزعجاً، ثرثاراً وبخيلاً، ولم أر

فيه شيئاً آخر، وان رداء العظمة الذي يحاول الظهور به، لم يتناسب معه أبداً.

حدث في مدينة خربوط، أن أرسل حضرة بهاء الله، من يشتري له كمية من الكز (نوع من الحلوى الإيرانية)، وأمر بتوزيعها على المسافرين، وخصص ثلاث قطع جيدة منها لأزل. كان الوقت بعد الظهر، ولم يمض وقت طويل على تناول أزل طعام الغذاء، وبما أن أزل كان ملتزماً بنوع من الحمية، حفاظاً على صحته، لذا قرر عدم تناولها، والاحتفاظ بها الى وقت آخر.

كان من ضمن المسافرين في رحلتنا، أَخَوان، الأول يدعى أستاد محمد باقر الكاشاني والثاني محمد إسماعيل، وكانا يمتهنان الخياطة – وهما شقيقا البطل، بهلوان رضا، الذي مات في سجن ناصر الدين شاه – وخلال الرحلة، أُلقيت على عاتقهما مسؤولية إعداد الشاي للمسافرين. نادى أزل، أقا محمد باقر، وأمره بالاحتفاظ بالحلوى معه، حتى وقت طلبها. فجمع هذا الرجل البسيط، كل الحلوى معاً في ورقة واحدة، ووضعها تحت إبطه. فأدركت على الفور ما سيحل بالحلوى من جراء فعلته، لكني قررت الصمت وعدم التعليق على الموضوع، وترك الأمور تسير كما هي. ونتيجة لحرارة جسم الرجل، ذابت القطع الثلاث، وامتزجت معاً في قطعة واحدة. ولم تمض أكثر من ساعة واحدة،

حتى جاءني استاد باقر، ليقول لي: (لقد ذابت حلوى جناب أزل وامتزجت ببعضها. فما عساي أن أفعل؟).

قلت له: إن جنابه، لا يهتم بمثل هذه الأمور. فدعنا نقتسمها ونأكلها، أنا وأنت وأخوك.

وهكذا فعلنا.

بعد ساعة، أرسل أزل في طلب الحلوى. فذهب استاد باقر إليه، وهو يرتجف داخل حذائه الواسع، وقال له: (يا سيدي.. إن الحلوى قد ذابت وامتزجت ببعضها، وخجلت من تقديمها لك بذلك الشكل. لذلك أكلناها، أنا وأخي واستاد محمد علي).

وهنا، انفجر أزل غاضباً، وراح يوبخ الرجل بشدة، ويصرخ في وجهه ويردد: (أنتم لستم سوى خونة ولصوص؟ ولا تؤمنوا بالباب حقيقة). واستمر على هذا الحال، يدمدم ويتذمر وينعى حلواه، لفترة طويلة خلال محطات الطريق التي مررنا بها لاحقاً.

وحدث أن شرّف حضرة بهاء الله، الحمّام العمومي في مدينة خربوط، وكان أزل في صحبته. فأمرني حضرته بوضع الحناء له، والذهاب للاعتناء بأخيه. ففعلت كما أمرت، وذهبت لخدمة أزل. وأثناء ذلك، طلب مني أزل، حلاقة شعر رأس ابنه ذي الإثنى

عشر عاماً[24]. فرفضت القيام بذلك، وقلت له: سأذهب الى حضرة بهاء الله، أسأله. فان وافق فعلت.

ذهبت وتركته يفور في غضبه. أما إجابة حضرة بهاء الله، فكانت: (لا.. لا تحلق رأس الصبي). ولاختصار القصة، عدت لتكملة خدمة أزل والانتهاء منه. ولم أحلق شعر رأس ولده.

ثم وصل الى الحمّام، الغصن الأطهر (أقا مهدي)، ابن حضرة بهاء الله، وكان في الرابعة أو الخامسة عشر من عمره، وبدخوله، نسيت كل شيء، فهو شقيق حضرة عبد البهاء حقا، وكان في غاية التواضع. كما وصل أيضاً، ميرزا محمد علي، وأقاي كليم، وميرزا محمد قلي، ومجد الدين.

التفت الي جناب الغصن الأطهر، وخاطبني بقوله: (إن هذه الرحلة، علّمتنا الشيء الكثير. فقد أدرك أزل أخيراً، أن الجميع ليسوا خدماً له كما اعتقد).

وصلنا ميناء سامسون، الواقع على ضفاف البحر الأسود. فأخذ ثلاثة منا، مهمة الاعتناء بالحيوانات الخاصة بالعائلة المباركة، وهم: درويش صادق علي، المعروف بـ (وردة المولى)، ولقد ورد ذكره في الألواح كثيراً، والثاني أقا سيد حسين كاشاني، والثالث الحاج إبراهيم كاشاني.

وتصادف أيضا، وجود أحد ضباط الشرطة في المدينة لتأدية بعض المهام، فحضر لتقديم نفسه الى حضرة بهاء الله بكل احترام.

مكث حضرة بهاء الله، في مدينة سامسون بضعة أيام، انتظرنا خلالها وصول السفينة التي ستقلنا الى استنبول. وفي هذه المدينة، انزل حضرته لوح الهودج[25]، كما أنهى عمل المسئولين عن القافلة، وأتاهم أجورهم المجزية مع هدايا قيّمة. لكن الخيول الخاصة بالعائلة المباركة، بقيت معنا، ومعها حصان خاص بوالي بغداد، أرسله الى استنبول. ولقد شحنت جميعها على ظهر المركب.

* * *

في استنبول

أبحرنا من ميناء سامسون الى استنبول. وبوصولنا الى مينائها، أخليت أمتعتنا من ظهر السفينة، وبقيت أنا مع الخيل على المركب.

تقدم حضرة بهاء الله الى دار الاستراحة الحكومي في استنبول، وكانت تحت إشراف رجل يدعى شمسي بك. فاتخذ حضرته الطابق العلوي مسكنا له ولعائلته، بينما سكن بقيتنا في الغرف السفلية، ومن ضمنها، غرفة كبيرة واسعة ذات موقع جيد، بقي يزورها حضرة المولى كل يوم، كما كان يتردد عليها أيضاً كل من سيد محمد أصفهاني والحاج ميرزا أحمد كاشاني وميرزا أقا منير كاشاني. واتخذ أزل قسما خاصاً من الطابق العلوي مسكنا له. لكنه بقي ينزل كل صباح، ليمكث حتى وقت الغداء ثم يصعد لتناول طعامه وينزل مرة أخرى. وبقي يسكن الطابق العلوي أحياناً والسفلي أحياناً أخرى، حتى لا يكتشف الناس حقيقة شخصيته من ناحية، وأن لا يعتقدوا بأنه أحد خدّام الجمال المبارك من ناحية أخرى.

حدث أن وصل الى الحضور المبارك، خلال رحلتنا في نقطة تدعى معدن نقرة، نبيل زرندي[26]، وبصحبته رجلان، الأول يدعى أحمد والثاني حسين، وهما من كاشان، جاءا معه من

بغداد. ومع أن حضرة بهاء الله، أرسل إليه محمد عسكر، ليثنيه عن سفره ويخبره باستحالة مرافقة حضرته بدون إذنه. إلا انه ترك بغداد، ولحق بنا في هذا المكان. وبوصوله أعاد حضرة بهاء الله عليه نفس النصيحة مرة أخرى. لكنه بقي على رأيه، وسافر معنا الى استنبول.

أما بالنسبة لصاحبيه، فقد صرف أحمد، بينما جاء حسين معنا الى استنبول ومنها الى أدرنه. ذات يوم، وفي غرفة من غرف الطابق السفلي، حرّض الشيطان سيد محمد أصفهاني[27] بين الحاج ميرزا أحمد وميرزا أقا، فتشاجرا وتضاربا بالأيدي. فذهب ميرزا أقا جان الى حضرة بهاء الله، يطلعه على ما حدث، ثم عاد بنصيحة مفصّلة الى ميرزا أقا، الذي لم يقتنع وبقي على عناده. فصُرِف بعد عدة أيام. إلا انه أبدى ندمه لاحقاً، ثم توفي في مدينة أزمير.

عشنا في الخان حوالي خمسة عشر يوماً، استأجرنا بعدها بيتاً فخماً أثثته الحكومة العثمانية بكل ما اقترحه عليها شمسي بك من أثاث فاخر. وبقي الناس، يحضرون لزيارة حضرة بهاء الله في استنبول للتحدث إليه. بينما لم يزر حضرته أحداً، وأخبر أخاه أقاي كليم بتعليماته: (لن أذهب لزيارة أحد. أذهب أنت حيث

تشاء). وهكذا، قام أقاي كليم، بزيارة بيوت بعض من مسئولي الدولة الذين اعتقد أنها مناسبة لزيارته.

في استنبول، كان حضرة بهاء الله، يذهب وقت ظهر كل يوم، الى جامع السلطان محمد لتأدية فريضة الصلاة ولتلاوة الأدعية. كما بقي يتردد على الحمام العمومي كل أسبوع تقريباً، حيث أكون برفقته أحيانا، هذا بالإضافة الى زيارته لجامع آخر يدعى جامع الخرقة الشريفة.

* * *

لم يغير أزل شيئاً من عادة تخفّيه، رغم تشرّفه المستمر بالمحضر المبارك، وبقي شمسي بك، يجهل أخوّة أزل لحضرة بهاء الله، لادعائه الدائم، أنه أحد مريدي درويش ميرزا علي خان الخراساني. وذات يوم جاء أزل – على غير عادته – الى حضرة بهاء الله، بخبر يقول: (تتردد إشاعة عن رحيلك الى أدرنه).

تأكدنا من صحة الخبر، بمجيء شمسي بك، في زيارة رسمية لحضرة بهاء الله، ليعلن نيابة عن الحكومة العثمانية، الفرمان التالي: (لقد صدر أمر سفرك الى أدرنه). فأجابه حضرة بهاء الله بشكل قاطع: (نرفض ذلك).

بعد مغادرة شمسي بك، خرج حضرته، وخاطب الأصحاب متفضلاً: (تأكدوا.. لن يحدث مكروه). ثم ابتسم وأضاف: (وعلى كل حال، لا ضير أن قدّمت لهم اثنين أو ثلاثاً منكم ليقتلوهم). تفضل ذلك وغادر المكان.

جلس في قسم البيت الخارجي، كل من أزل وسيد محمد والحاج ميرزا أحمد كاشاني، يتدبرون أمرهم بينهم، بقصد الموافقة على الرحيل. ومما قاله أزل: (إن شئتم عبور نهر، فأيهما أفضل لكم، ابتلال كل متاعكم أم نصفه؟) فردا عليه: نصفه.

وعندما نقلنا لحضرته ما قاله أزل، تفضل: (مازلت متمسكاً بقراري).

بعدها، حضر ميرزا صفا الخراساني، وقال من جملة ما قاله: (حسب أوامر الحكومة، عليكم بالرحيل الى أدرنه. لا يمكن لأحد عصيان فرمانات الحكومة). فأجابه حضرة بهاء الله: (هل تحاول إخافتي من هذه الحكومة؟ لو وقف في وجهي كل سكان الأرض بسيوف مسلولة، فلن يخيفني أحد)[28].

أما أزل فبقي يردد: (سيسحقون أولادنا وزوجاتنا ! سوف يقتلوننا ! علينا بالرحيل).

فأجابه حضرة بهاء الله: (لن يكون هنالك فارق كبير إن قتلنا. أما بالنسبة لعوائلنا فنستطيع تدبير أمرهم بطريقة لا يصبهم بها مكروه. ولا يوجد شيء أفضل من قتلنا بأيديهم في سبيل الله!)، ثم أضاف بشكل قاطع: (لن نذهب).

بقي أزل وسيد محمد والحاج ميرزا أحمد، وزوجاتهم وأولادهم يرددون (سنذهب).

وعاد رجال الحكومة، مرة ثانية، لمقابلة حضرة بهاء الله، للاستفسار عن رده. إلا أنهم حصلوا على نفس الجواب، وتفضل: (ما زلت على قراري، لا أهمية لموافقة البعض على الرحيل. إن قراري ما زال كما هو).

بعد فترة.. صرّح حضرة بهاء الله، بنبرة واضحة الحزن والأسى، وتفضل: (إن هذا الشخص "أزل" يعارضنا، ولولاه لذاع صيت الأمر المبارك وانتشر بعيداً. وهذا لن يتحقق الآن). وفي مقام آخر، تفضل بحزن شديد: (لولا اعتراض أزل في استنبول، لذاع صيت أمر الله بشكل رائع. ولو قتلنا، لانتشر الأمر المبارك شرقاً وغرباً. رغم أنه لم ولن يحدث هذا. مع ذلك سينتشر الأمر رغم كل الظروف)

أخيراً.. أصدر حضرته أمره بالاستعداد للرحيل الى أدرنة، نزولاً لتضرع وبكاء وتوسل بعض أتباعه. وقام ميرزا موسى، بزيارة من شاء من الأصدقاء والمعارف لتوديعهم. ثم استأجر عربات تجرها الثيران لنقل الأمتعة. وامتطى حضرة المولى حضاناً، بينما ركب ميرزا يحيى حماراً. وخلال الطريق لم يحدث شيء يذكر، سوى ترديد حضرة بهاء الله لجملة واحدة: (لماذا جئنا؟)[29].

وكما أذكر، فان لوح (لك الحمد يا هو يا من هو هو...) قد نزل في هذه المدينة.

في أدرنه

وصلنا أدرنه، في الثاني عشر من ديسمبر 1863م، واختار حضرة بهاء الله، أحد الخانات لسكناه. وكان برفقتنا من استنبول، ضابط تركي مخلص طيب القلب[30]، برتبة نقيب (يوزباشي) ومعه عدد من الجنود. بعدما شاهد هذا الضابط، مظاهر العظمة والكبرياء، على حضرة بهاء الله، تقدّم إليه بالتماس أعرب فيه عن رغبته في ترقية وظيفية لنفسه الى رتبة رائد (بن باشي). وحدث بعد عودته الى استنبول، أن وجد الترقية في انتظاره.

استأجر هذا الضابط، بيتاً خاصاً لحضرة بهاء الله[31]، وآخر للأصحاب، يحوي اسطبلاً، جمعت فيه خيولنا، وبيتاً ثالثاً، خصص لميرزا موسى، يحوي حماماً كبيراً، جُهِزَ على الفور للاستعمال، وذلك، لأن موعد وصولنا، كان في بداية موسم شتاء قارسٍ جداً، حتى أن مياه جميع جداول المدينة كانت متجمدة. هذا بالإضافة، الى انه لم يكن بيننا، من يملك ملابس شتوية ثقيلة تناسب ذلك المناخ، ولا حتى حضرة بهاء الله نفسه. فقد قدمنا من بلاد عربية حارة.

أما بالنسبة للحمام الموجود في بيت ميرزا موسى، فقد اعتاد أزل أن يكون أول المستحمين فيه. ذات يوم، دخلت الحمّام ورأيته وقد غطى الشعر الكثيف جسمه لدرجة بدا معها كقطعة شعر واحدة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه. وبانتهائه من حمّامه، وقيامي على خدمته. دخل حضرة بهاء الله وتفضل: (احلق كتفيه فهما كثّا الشعر). فتقدمت لتنفيذ الأمر، إلا أن أزل، غطى كتفيه بكلتا يديه، وقال: (لا تفعل). عندها تفضل حضرة بهاء الله: (دعه وشأنه فهذا غير مهم). في هذا البيت، مكث حضرته طوال فصل الشتاء، وذات يوم، وبعد حلول فصل الربيع، شرّف حضرة بهاء الله، بيت الأصحاب وشملنا بعنايته وعطفه. وصادف أن حَطَّ عصفور صغير على غصن شجرة قريبة من بيتنا وراح يغني، فنظر إليه حضرته، وتفضل: (لا يبدو تغريده جيداً.. من الأفضل اعطاؤه بعض الطعام).

عاش في هذا البيت، كل من السيد محمد والحاج أحمد كاشاني وأنا وبقية الأصحاب، وأحتل كل واحد منا، غرفة خاصة به في الطابق العلوي. كما اعتاد حضرة المولى الحضور ظهيرة كل يوم للقائنا ومجالستنا. وذات يوم، شرفنا حضرة عبد البهاء، وأخبرنا، أن حضرة الجمال المبارك، أمر بالبحث عن مسكن آخر يضمنا جميعاً. فبحث الأصحاب كثيراً، حتى وجدوا واحداً، يقع مقابل مسجد السلطان سليم، وفيه أربعون غرفة داخلية وخارجية،

ودعي هذا المنزل، فيما بعد باسم بيت (أمر الله). وفيه أنزل حضرة بهاء الله (لوح الأمر) أرسله الى ميرزا يحيى بيد أقا جان، وفيه يدعوه للإيمان به. وحالما شاهد أزل اللوح، اعترض عليه، وقال لأقا جان: (انه مكتوب باللغة العربية)[32].

سكن أزل بيتاً منفرداً، يبعد بضع خطوات عن بيت (أمر الله) الذي ضم، حضرة بهاء الله، وجميع الأغصان (أولاد حضرته)، وميرزا محمد قلي (أخاه)، وحضرة الحرم (زوجته آسيا خانم "نواب"). بالإضافة الى بقية الأصحاب جميعا، بينما وقع منزل ميرزا موسى منفردا في الجهة المقابلة.

أما السيدان، محمد أصفهاني والحاج ميرزا أحمد، فخصصت لهما غرفة، اعتاد حضرة المولى، تناول طعام الغداء والعشاء معهما. ولم يكن يدخل حضرته، قسم البيت الداخلي، إلا عند النوم فقط.

* * *

مؤامرات ناقضي العهد

غالبا ما يرتاد أزل، الحمّام الملحق ببيت أمر الله. ولم يكن لدى الأصحاب أدنى فكرة بخصوص تمرده ونقضه للعهد والميثاق في تلك الفترة (خلال السنة الثالثة لوصولنا أدرنه، 1866م)، إلا انه، بدا خاملاً وفاتراً بعض الشيء. وخلال زياراته للحّمام، كان يدخل معي في نقاشات، حول مواضيع مختلفة، ويحاول بطريقته الخاصة، اجتذابي لصفّه. لكني تظاهرت بعدم إدراك ما يرمي إليه. وفي هذه الأثناء، بدأ يتعاون معه، كلٌ من سيّد محمد والحاج أحمد. وبقي سيّد محمد، يذهب الى مسجد السلطان سليم كل يوم، حيث يعمل على تأليف كتاب اسمه (ملخص البيان). بينما انشغل حضرة المولى والحاج أحمد وأقا رضا قناد (الشكرجي) وأقا ميرزا محمود، باستنساخ الألواح المباركة وتوزيعها.

ذهب سيّد محمد – وكان عمره آنذاك ستين عاما – الى تكية مولوى، وعرض على القائم عليها، قدرته على شرح قصائد مثنوي – وكان يقرأ له طوال الوقت – ووعده كذلك، بشرح قصائد جلال الدين الرومي (ستة مجلدات من الأشعار الصوفية). وهكذا، تعرّف سيّد محمد على الرجل، وراح يحاوره بطريقة مبطنة شيئاً فشيئاً.

سألني سيّد محمد، ذات مرة، عن معنى بعض الأبيات الشعرية، فأجبته مستشهداً بأبيات من شعر الرومي. فأعجبه جوابي، وذهب الى ميرزا موسى، يمتدح قدراتي العقلية.

ذات مرة، قلت في مجلس ضم حضرة المولى: من المؤكد أن نبيل زرندي يقوم بأشياء غريبة، فلقد علّق على قول سيّد محمد، ذات مرة، قائلا: (انه يتكلم كملحد..).

أغضبت ملاحظتي سيّد محمد، إلا انه لم يعلق بشيء، خوفاً من حضرة المولى. وفي صباح اليوم التالي، صادفني وهو في طريقه لإعطاء دروسه، وقال لي: (يا استاد محمد علي.. نحن من مدينة واحدة، وأنا أمتدحك وأثني عليك أينما ذهبت، وذكر أمثلة على ذلك. والآن.. قل لي: ماذا قصدت من كلامك ليلة أمس؟ وكيف ذكرت، انني وحسب ما قاله نبيل، قد قلت كذا وكذا؟).

حركت كتفي استهجاناً، وقلت: أنى لي أن أعلم؟

قال: كان عليك أن تهمس ما ذكرته في أذني.

قلت: لسنا هنا في محكمة حسين كرد للصوص[33] حيث يفعل كل منّا ما يشاء. عند هذا انتهى الموضوع، وذهب كل منّا الى عمله.

واظب سيد محمد، على الذهاب الى تكية مولوي، لإعطاء دروسه. وكان ميرزا موسى يأتي لزيارته في مسكنه، حيث يدخن نارجيلته ثم يعود. وذات يوم، شهدت وبحضور حضرة المولى، نقاشا بين سيّد محمد و الحاج أحمد. فاستشهد سيّد محمد – خلال حديثه – بعربة مرّت بالصدفة من تحت شباك البيت، وقال: (كان "ذكر الله" حضرة الباب، مثل هذه العربة.. مثلما جاء.. مثلما ذهب).

غضب ميرزا موسى بشدة، عند سماعه هذا، وقال، قبل أن ينهض ويترك المكان: (استح يا هذا.. وتذكّر، أن هذا المكان، يقع خلف بيت حضرة بهاء الله مباشرة).

بقي سيّد محمد يغلي غضباً، ثم حمل نفسه، وذهب ليكمل نقاشه مع ميرزا موسى، وليدافع عن رأيه أمامه، ومما قاله أيضا: لقد أخجلتني. فزاد ذلك من غضب ميرزا موسى. وخلال النقاش، وجد سيّد محمد، فرصة ليشكوني عنده، فقال: (إن أستاد محمد علي، قد قال عني كذا كذا). فأجابه ميرزا موسى: (أليس هذا هو نفس الرجل الذي اعتدت تمجيده بشغف؟! فماذا حصل لتنقلب ضده؟).

لم تمض هذه الحادثة، دون نقلها بكاملها الى حضرة بهاء الله.

بعد بضعة أيام، تركنا سيّد محمد، وعاد غاضباً الى تكية مولوي، ليسكن هنالك. فأرسل ميرزا أقا جان، في طلب رجل يدعى إبراهيم – كان قد عمل خادماً لدى حضرة بهاء الله، ونقض العهد، لكنه ما زال يدعي الإيمان – وسلّمه مبلغا من المال ورزمة من الملابس، ليأخذها الى سيّد محمد. لكن الأخير، كتب بعد يومين، رسالة الى والدة الغصن الأكبر (ميرزا محمد علي) يقول فيها، أنه موجود في التكية، وهو جائع جداً، لدرجة أنه يأكل أوراق الشجر. لقد حدث ذلك، قبل ثلاثة أيام، من إرسال كمية أخرى من الملابس والمال له. هذا بالإضافة الى ما كان يستلمه كأتعاب من تلميذ التكية.

* * *

كان اليوم التالي، موعد ذهاب حضرة بهاء الله للحمّام. فسبقته إليه، إلا أن أزل جاء أولا. والحقيقة، بقيت محاولاته لاجتذابي الى جانبه، مبطنة وغير صريحة، حتى تلك اللحظة. وبينما كنت أقوم على خدمته بوضع الحناء على رأسه، راح يتكلم ويقول: (رأيت ليلة أمس حلماً.. رأيت شخصاً يمسك بمكنسة وينظف المكان حولي). قال ذلك، وهو يحاول الإيحاء لي، بأن هذا الرجل، هو حضرة بهاء الله. وهكذا.. أدركت أن هذا الحقير، يحاول استدراجي

لتنفيذ عمل معين له. لكنه لم يفصح عن شيء آنذاك، بل أكمل استحمامه وذهب.

بعد ذلك.. دخل حضرة بهاء الله الى الحمّام، وصادف أن نظرت إليه من خلال مرآة مثبّتة على الجدار، فتفضل: (أنت عظيم.. وصورتك لا تتناسب مع مرآة صغيرة)[34].

بعدها.. جلست أفكر وأسأل نفسي، عن مغزى كلام أزل، ومعنى مشاهدته حضرة بهاء الله في المنام، وهو ينظّف المكان حوله. وأدركت بوضوح، انه يهم بإسناد مهمة خاصة لي. وأكثر من ذلك، راح الحاج ميرزا أحمد، يحاول بشدة وإصرار، استدراجي وتحويلي الى صف أزل، ولاحظت أن تلك المحاولات، اشتدت على الخصوص، في أيام معينة وبصورة عاجلة. فسألته ذات يوم: (ياحاج.. أنت تبلّغ الناس عن المظهر الإلهي الموعود. فهل يا ترى انك تؤمن به حقاً؟).

أجاب: نعم.

قلت له: تباً لك ولمولاك الذي تعتقد به. وعلى إثر ذلك، نشبت بيننا مشادة، نقلها هو الى حضرة بهاء الله، بغرض الشكوى، وادعى قائلاً: (إن استاد محمد علي، لا يؤمن بمن يظهره الله).

في اليوم التالي، جاء ميرزا أقا جان، وجلس وجمعنا حوله، وراح يقرأ، لوحاً حول وحدانية الله، كما قرأ، لوح أحمد الفارسي النازل باسم الحاج ميرزا أحمد[35]. وبالمناسبة، كان حضرة الجمال المبارك، ينزل الألواح باستمرار في مدينة أدرنه.

مرة أخرى، حلَّ موعد الاستحمام، وجاء أزل أولا، فغسل رأسه وجسمه واستعمل الحناء. فجلست الى جواره لمساعدته، بينما راح هو يتكلم ويقدّم النصح لي، وقصَّ عليَّ، حكاية ميرزا نعيم، حاكم مدينة نيريز، وكيف أضطهد الأحباء وقتلهم، وآذى الأمر المبارك بشدة. وراح يثني على صفة الإقدام والشجاعة ويمتدحها، وقال ان هنالك رجالا شجعانا بالفطرة، يبرهنون على ذلك في اللحظة المناسبة. وعاد يكمل قصة ميرزا نعيم، حاكم نيريز، وقال: من بين أطفال مؤمني نيريز الذين نجوا من الموت، صبيٌ في الحادية أو الثانية عشرة من عمره، تسلح بسكين، وذهب الى الحمام الذي يرتاده الحاكم. وفي لحظة خروج الحاكم من حوض الماء، أسرع الولد إليه، ليغمد سكينه في بطنه ويمزقها. فدخل خدم الحاكم مسرعين، عند سماعهم صراخ سيدهم، يستطلعون الخبر، فشاهدوا الولد والسكين في يده ملطخة بالدماء، فانهالوا عليه ضرباً مبرحاً، ثم تركوه وذهبوا لتفقد حاكمهم. لكن الصبي، ورغم كثرة جراحه، نهض مرة أخرى، وهجم على الحاكم في غفلة من الحاضرين، وأغمد السكين في بطنه مرة ثانية.

بعد أن أكمل أزل حكايته هذه.. عاد يمتدح الشجاعة ومزاياها، وقال: (كم هو جميل أن يكون الرجل شجاعاً.. أنظر الآن.. ماذا يفعلون بأمر الله ! ان كل واحد، راح يهاجمه ويؤذيه من ناحية. لقد نهض الجميع ضدي ! حتى أخي ! ولم يبق لي لحظة راحة أو نفس هناء !). وهنا، راح يغيّر من نبرة صوته بطريقة تستجدي الرحمة والمساعدة، وقال: (أنا.. الوصي.. أنا الضحية المظلومة.. أخي مغتصب ظالم ! "ليسامحني الله على تكرار نقل جملة أزل هذه". ثم عاد مرة أخرى، ليمتدح الشجاعة ويقول: كم جميلة هي الشجاعة.. وكم هي ضرورية الآن لإنقاذ أمر الله !)

وبالإجمال.. فان نبرة صوته، وقصة نعيم، وتمجيده الشجاعة، وحثه المستمر لي للانضواء تحت لوائه.. كل ذلك، يعني شيئاً واحداً فقط، (أقتل أخي !).. نعم هذا هو.. (أقتل حضرة الجمال المبارك).

في تلك اللحظة.. وعند تفوهه بتلك الكلمات، أصابني الغثيان الشديد بطريقة لم أشعر بها في حياتي، وشعرت كما لو أن جدران الحمام ستسقط فوق رأسي. فخرجت وجلست على عتبة الباب، وأنا مشوش الفكر غير قادر على الكلام. وقررت وأنا في حالة من الغضب والغليان الشديد، العودة الى الداخل، وقطع رأس هذا الرجل، وليحدث ما يحدث.. لكني عدت لأفكر ثانية، وقلت في

نفسي.. إن عملية قتله سهلة جداً. ولكن لنفترض أني أُدِنْتُ بهذا العمل ! فهل يمكنني الوقوف أمام حضرة بهاء الله، في موقف كهذا؟ ورحت أصوّر في ذهني جواب سؤال حضرة بهاء الله: (لماذا قتلته؟). وهنا، تغيّر رأيي وانقلب تصميمي. فقمت من مكاني، ودخلت الحمّام، وتوجهت إليه مباشرة، وقلت له بغضب وحدة شديدين: (أخرج من هنا حالا؛ جعل الله مثواك جهنم !). فقام وتقرب مني، يطلب المساعدة في سكب الماء عليه، ورغم أني فعلت، لكني لم أدرِ هل اغتسل أم لا.. وقام وترك المكان مذعورا. ومنذ ذلك الحين ولحد الآن لم أر وجهه ثانية[36].

بعد هذه الحادثة.. أصابتني حالة شديدة من الهياج، ولم يستطع شيء تهدئتي. وصادف أن لم يحضر حضرة الجمال المبارك، الى الحمّام في ذلك اليوم، لكن ميرزا موسى حضر، وبمجرد وصوله بادرته بالقول: (لقد أشعل أزل اليوم النار في كياني)، ورويت له ما حدث، فأجابني ناصحاً: (نعم.. إن أزل لديه مثل هذه النوايا منذ عدة سنوات. فلا تعره اهتمامك، انه يحتفظ دوماً بمثل هذه الأمور في عقله). ثم تركني وانصرف.

قمت على إثرها، وأغلقت باب الحمّام، وذهبت الى حضرة المولى، وقلت له: (لقد قال أزل اليوم كذا وكذا، وأغضبني بدرجة أنني هممت بقتله. لكني لم أفعل ذلك). فأجابني: (بما انك قد

اكتشفت ذلك بنفسك، فلا تذكره لأحد، ومن الأفضل إبقاؤه سراً). لكني لم أستطع كتمان الخبر، فذهبت وأخبرت ميرزا أقا جان بالقصة، وطلبت منه، نقلها الى حضرة بهاء الله، فذهب وعاد بسرعة، ليخبرني أن حضرته تفضل: (اذهب واخبر أستاد محمد علي، بأن لا يتحدث بذلك في أي مكان).

في نفس تلك الليلة، ذهبت وجمعت كل رسائل وكتابات أزل، وأخذتها الى غرفة الجلوس في منزل حضرة بهاء الله، وأحرقتها كلها في موقد الفحم. لكني أظهرتها وعرضتها على جميع الحاضرين، قبل حرقها، حتى يعلموا أنها كتابات أزل وليس احد غيره، وكان يجلس هنالك سبعة أو ثمانية أشخاص، فاعترضوا بشدة لفعلتي، وقالوا: ماذا تفعل؟ لم كل هذا؟ أجبتهم: كنت أعبد بيت أزل حتى هذا اليوم. لكني أيقنت اليوم فقط.. انه أحقر من كلب[37].

لأزل ثلاث زوجات، الأولى من مازندران، واسمها رقية، والثانية من تفريش واسمها بدري جان، والثالثة من شيراز واسمها ملك جان، ومن هذه الأخيرة، ولد أحمد بن أزل[38].

اعتقد كل من ميرزا نصر الله وولده، ورضا قلي التفريشي، شقيق بدري جان زوجة أزل، ان هنالك فائدة مادية ستعم عليهم،

ان استطاعوا، تطليق شقيقتهم من أزل، وتزويجها لحضرة عبد البهاء، بعد فترة انفصال محددة.

فحضروا الى أدرنه، وأقنعوا هذه الزوجة بقطع علاقتها مع أزل ومخاصمته. لكن ميرزا نصر الله، توفي خلال تلك الفترة وبقي الثلاثة الآخرون. أما حضرة عبد البهاء، فلم يكن له رغبة في الزواج منها.

* * *

بداية المتاعب

امتلأت إيران بالألواح والآيات خلال هذه الفترة، وكانت تصل الى يد ميرزا حيدر علي[39]، الذي كان يرسلها بدوره الى جواد قزويني في تبريز. ومن ناحية ثانية، فقد أرسل حضرة بهاء الله، ساعة مغادرته استنبول نبيل زرندي، الى خراسان، في مهمة أتمها بنجاح كبير وأحدث حركة واسعة.

وحدث ان قَتَلَ اثنان من البهائيين، وهما مصطفى كاشاني والشيخ أحمد خراساني[40]، رجل دين محترم، بين أهل مدينته، يدعى سيّد إسماعيل، وذلك نتيجة نقاش ديني حاد، انتهى بعداء شديد، حدث بين القتيل وجواد قزويني. فأعتقل جواد مع القاتلين، باعتباره المحرض لهما. وفي النهاية، أعدم الرجلان، جزاء فعلتهما. بينما استطاع جواد شراء حياته وحريته، بالتصرف بألف تومان[41] من أموال حقوق الله[42] التي كانت مودعة لديه، والتي تعود ملكيتها لحضرة بهاء الله.

عاش في تبريز، رجل يدعى الحاج علي عسكر، وكان له بنتان. طلب هذا الرجل من جواد قزويني – وقت سكنه تبريز – رفع التماس الى حضرة بهاء الله، يرجوه برغبته في تزويج ابنته الى حضرة عبد البهاء. ففعل جواد وكتب الالتماس. إلا ان الجواب، جاء آمرا بتزويج البنت الى جواد نفسه، وقت هربه من

تبريـز. فتـدبر الأمـر فيمـا بعـد، مـع إحـدى السـيدات المسـنّات، لإحضـار البنـت الـى أدرنـه، حيث زفّت إليـه. كـان للرجـل بنتـان، تزوجت الأولـى من جواد، بينمـا خدمت الثانيـة، العائلـة المباركـة، وتوفيت فيما بعد في عكاء، وبقي حضرة عبد البهاء عازفاً عن الزواج. وصل نبيل زرندي الى أدرنه، في هذه الأثناء، بعد تجواله في إيران، بصحبة مشكين قلم وعلي سيّاح (الذي تشرف بمحضر حضرة الأعلى، في جبل ماكوه، وآمن به، وعمل مراسلاً لـه، وكان يوصل ألواحه ورسائله الى عناوينها، بكل الطرق الممكنة)، ومعهم اثنان من الكاشانيين، وشخص آخر من بخارى، يدعى جمشيد، آمن بالأمر المبارك في كاشان.

أعلن علي سياح، في العديد من الأماكن التي مرّ بها، انه في طريقه الى أدرنه، للتوفيق بين جناب أزل وحضرة بهاء الله. لكنه، أدرك وبمجرد وصوله وتشرفه بمحضر الجمال المبارك، وتقديمه مراسم الاحترام والتبجيل، حقيقة الموقف، وعلم، أن أزل، لم يكن على الإطلاق كما ظن واعتقد.

بعد فترة، وفي سنة 1866م، انتقل حضرة بهاء الله وعائلته المباركة، الى بيت آخر يدعى (بيت رضا بك). في هذا البيت، منع حضرته، الجميع من التشرف به ولقاؤه، واعتزل الناس تماما، وأبعد الحاج ميرزا أحمد الى بغداد. كما أبعد كلاً من محمد صادق وأقا محمد حسن وعبد الكريم والشيخ سلمان الذي تصادف وجوده هناك. كما قرر حضرته، إرسالي مع سائس الخيل صادق

علي درويش الى استنبول لبيع الخيل. في تلك الفترة، أصبح ميرزا علي سيّاح ومشكين قلم صديقين حميمين، وبما أن الثاني، كان خطاطا ممتازا، وبامكانه تدبير أمر معيشته، قررا الذهاب الى استنبول، لمزاوله مهنة الخط. إلا ان حضرة بهاء الله، وكما اعتقد، لم يرغب في ذهابهما.

وصل الاثنان استنبول، وذهبا لزيارة ميرزا حسين خان مشير الدولة (سفير إيران في استنبول)، فقابلهما بكثير من الاحترام، وفعل الكثير من اجلهما، وسعى لتحسين معيشتهما، لدرجة انه اشترى لمشكين قلم كشكولاً جميلاً، باعتباره من أتباع الصوفية سابقاً، وطلب منه الحضور لقراءة رسالة في مدح شاة إيران في مجمع للإيرانيين، ففعل. كما تدبر له عملا، وهو استنساخ وخط كتاب للشاعر سعدي، مقابل ثلاثمائة ليرة عثمانية. فابتدأ مشكين العمل، وكتب جزءاً من الكتاب.

وذات مرة، استدعاه السفير في إحدى جلساته، فراح مشكين، يتكلم عن الأمر المبارك، خلال اللقاء، وأخذ يغالي في كلامه، وزعم أن أعدادنا كبيرة، وتقدر بالآلاف في استنبول وحدها، وتساءل ان كان للسفير علم بذلك. فرد عليه السفير بقوله: (احذر يا هذا.. اني أحاول مساعدتك). وفي النهاية، اعتقل الاثنان وطرحا في السجن[43].

اعتقالي وإبعادي

ذهبت بالخيل الى استنبول لبيعها وبصحبتي صادق علي درويش وأقا محمد باقر محلاتي. فأوقفنا الحرس عند باب المدينة، وسألونا: من أنتم؟ ومن أين جئتم؟ فاعترضت على تصرفهم بشدة. وبعد سؤال وجواب، اقتنعوا بحجتنا. فتركونا وشأننا، ووافقوا على دخولنا. لكنني أخطأت بسؤالهم عن مشكين قلم. عندها قال لي الشرطي: تعال معنا، وسنأخذك إليه. فأخذوا خيولنا، وأدخلونا سجن السلطان. ثم جاءوا في اليوم التالي، لاقتيادنا الى بيت حاكم استنبول حسين حسني باشا.

فسألنا: من أين أنتم؟

قلت: من أدرنه.

قال: ماذا تفعلون هنا؟

قلت: جئنا لتسليم مشكين قلم، بعض الخيول ليبيعها. (ولم أكن أعلم، ان مشكين قلم مسجون).

اكتفى بهذه الأسئلة، وأمر بإعادتنا للسجن ثانية، حيث احتجزنا. ولم تمض بضعة أيام، حتى كسبنا ودَّ السجانين، وبدأنا

الحديث معهم، وشرح ظروفنا، وأفهمناهم أننا لسنا مجرمين أو لصوصا، وإننا لم نفعل شيئا يخالف القانون.

جلست في زنزانتي، أفكر وأخاطب نفسي، وقلت: (لابد أن يكون حضرة بهاء الله، واقعا تحت ضيق شديد في أدرنه. ومن المؤكد أن هؤلاء القوم سيستجوبوننا. ومن الضروري ترتيب قصة واحدة نتفق عليها، خاصة وأنهم صادروا مني ثلاث رزم من الآثار المباركة، ومعها مذكرات أسفاري).

التفتُ الى أصحابي، وقلت لهم: (علينا الامتناع عن ارتكاب أي عمل يسبب الأذى للعائلة المباركة. ولا نبالي بما سيحصل لنا، وليحدث ما يحدث، المهم أن لا نلحق الأذى بمن في أدرنه). فاتفقنا جميعا على ذلك.

أخذنا الحرس الى بيت الحاكم ثانية، صباح اليوم الثالث أو الرابع، فأمر باحضارنا الى غرفة كبيرة في الطابق الثالث، ووضعوا كل واحد منّا في ركن منها.

بعد قليل، استدعى الحاكم الى غرفته، أقا محمد باقر باعتباره أكثرنا ذكاء وأكبرنا سناً. تنصتُ باهتمام كبير، لأسمع ما يدور بينهما. فسمعت الحاكم يسأله:

– من أين جئتم؟

– من أدرنه.

– ما هو سبب حضوركم؟

– لقد أمرنا حضرة بهاء الله، نحن الثلاثة باصطحاب خيوله، وتسليمها الى مشكين قلم لبيعها.

– هل تعلم شيئاً عن هذه الكتابات؟

– نعم.

– إذن.. اقرأ لنا شيئا منها؟ (فقرأ أقا محمد باقر، حوالي عشرة أسطر، من دعاء باللغة العربية).

– من صاحب هذه الكتابات؟

– استاد محمد علي. (اتفقنا على هذا الجواب مسبقاً).

– هل لك علاقة قرابة مع بهاء الله؟

– لا.. أنا أحد خدّامه.

– لقد ادعى بهاء الله، أنه المهدي. فما قولك في ذلك؟

– لا.. لم يدّعِ ذلك[44].

– أنت لا تفهم. لقد ادعى.

– لا.. لم يفعل.

– لو إدعى. فما قولك؟

– ليَدَّعِ حضرته ما يشاء، فقد عهدناه صادقا. لكنه لم يَدَّعِ هذا.

انتهت المقابلة، وأعادوه إلينا، ليأخذوا درويش، باعتباره أكبر سناً مني، وسألوه نفس الأسئلة السابقة. ثم قالوا له:

– لقد ادعى أنه المهدي.

– فأجاب: لا.. لم يفعل.

– فسألوه: ماذا تقول لو فعل؟

– قال: بسبب محبتي له، فكل ما يفعله مولاي حق.

أعادوه واستدعوني. دخلت الغرفة، وشاهدت فيها جماعة من رجال الدين السنّة، جالسين. وكان الحاكم هو الذي يطرح الأسئلة بنفسه، فسألني:

– هل هذه المخطوطات لك؟

– نعم.

– هل تقرأ أو تكتب؟

– لا.

– لماذا تحتفظ بها إذن؟

– استنسخها لي احد الأصدقاء.

– من ألّفها؟ هل هو (يقصد حضرة بهاء الله)، أم أنها للباب؟

– لا أدري.

– لقد ادعى أنه المهدي. فما قولك في ذلك؟

– كنت معه لفترة طويلة، ولم أسمعه يدعى هذا الادعاء ولا لمرة واحدة.

– ألم يدع ذلك أبداً؟

– كلا.. كلا.. أبداً.

– إن إدعى.. فما قولك؟

– ... وهنا رغبت في إنهاء الحديث، فقاطعته وسألته:

– أيمكن أن تكون يدك، أداة قتل أم لا؟

– نعم بالتأكيد.

– لحد الآن لم تتسبب بقتل أحد. فهل يمكن إصدار حكم عليها؟

– كلا.

– وكذلك حضرته إذن. لم يَدَّعِ لحد الآن مثل هذا الادعاء، فهل يمكن الحكم عليه؟

أغضبه كلامي، فصاح باللغة التركية، أخرجوه من هنا.. أخرجوه من هنا. قلت له: يا سيدي.. هل جئت بنا لتطردنا مرة ثانية؟ لقد أجبنا على أسئلتك، ولا حاجة لغضبك علينا.

سحبنا الى الطابق السفلي، ومنه نقل كل واحد منّا الى سجن منفرد. وكان نصيبي أنا سجن رديء مرعب لا يحتوي على حمّام، تكدس فيه اللصوص والنصابون، وكان عددهم سبعة عشر أو ثمانية عشر، واضطررت للنوم فيه وقوفاً.

لم يعد أحدنا يعلم بمكان صاحبيه، إذ أرسلوا درويش الى سجن آخر، وأخذوا محمد باقر، الى بناية الشرطة، وهناك أصيب بالدوسنطاريا، لذلك أمروا بنقله الى مصحة السجن مع ميرزا علي

ومشكين قلم. وبمجرد ان شاهد الأخير، محمد باقر، طالب المسئولين، بنقلنا معه أيضا، ففعلوا وأحضروني مع درويش. لكن مشكين قلم، بقي يشكو ويتذمر، لعدم استطاعته ممارسة مهنة الخط والكتابة، وبقي يطالب بعلبة أقلام ولوازم خط، والسماح له بممارسة عمله. في النهاية، جاءوه بما يريد، وبدأ الخط والكتابة. ورغم ان الطعام كان متوفرا داخل السجن، إلا ان البراغيث جعلت من النوم شيئاً مستحيلا. وبقينا منقطعين عن العالم الخارجي وأخباره.

أما رئيس السجن، فكان رجلا طيباً، وحسب علمي، كان لديه ابن أخ برتبة ضابط، أحضره الى مشكين قلم وسيّاح، ليعلّماه الخط، لعدة ساعات يوميا.

جاء بعد أيام، ضابط شرطة يدعى أقا بك، يبحث عن مشكين قلم، ليسأله عن أسعار خيوله، فأجابه: (ان هذه الخيول أصيلة وليست كما تدعي، ان كل واحد منها يساوي مائة ليرة). بعد مدة، تعرّف مشكين قلم، على شخص يهودي، يتردد على سجين إنكليزي، متهم بتزوير العملة، وكان هذا الشخص حراً في الدخول والخروج، من والى السجن متى شاء.

فناداه مشكين قلم، وقال له: (لدينا عدد من الخيول، ونبحث عن شخص، يستطيع تقديمها كهدية للسلطان أيام العيد، وسنقتسم

معه ما يقدمه لنا. نحن نأخذ ثمن الخيول، وهو يأخذ الباقي. خرج اليهودي، وعاد بعد فترة، بصحبة شخص آخر، ادعى أنه سائس خيول، يمكنه العناية بخيولنا. فوافق مشكين على تسليمه الخيول، بعد أن قدّر ثمناً جيداً لها، ووعد بتقديمها الى السلطان في اليوم المحدد. لكنه، نسي نقطة صغيرة مهمة، وهي التفاهم المسبق مع مسئول خيول السلطان، لاقناعه بجودتها وأصالة نوعيتها.

حل الموعد المحدد، واقتيدت الخيول الى السلطان، فنظر إليها، وسأل موظفه عن أصالتها، فأجابه بأنها رديئة. عندها رفضها السلطان. فعاد الرجل إلينا، وأخبرنا ان السلطان لم يستحسنها، وطلب باسترجاع ما أنفقه عليها. فوعده مشكين قلم، بالدفع لاحقا، وطلب منه الانصراف في الوقت الحاضر.

باختصار، أمضينا شهرين داخل السجن، وكان من جملة السجناء معنا.. جمشيد، خادم مشكين قلم. وفيما عدايَ ومحمد باقر وجمشيد، قررت السلطات نفي جميع بقية المؤمنين الى جزيرة قبرص. فأخذوهم لتسفيرهم، إلا أنهم، أعادوهم ثانية في نفس اليوم، لعدم إبحار السفينة، ثم أرسلوا في طلبهم اليوم التالي. واخذوا عبد الغفار من زنزانة مشكين قلم، وأرسلوه الى غاليبولي، لكي يبعدوه من هناك الى عكاء أو قبرص.

جاء دوري وجمشيد، فأخذوني لمقابلة الحاكم حسين حسني باشا. فأصدر أمره، بنفينا معاً الى إيران. وعلى الفور، أخذونا الى سفينة راسية في الميناء، مع فرمان يوضح بأننا إيرانيون بابيون، وكانوا يقرأون الفرمان، للناس بصوت عال، في كل محطة توقفنا بها.

وعندما وصلنا طرابزون، احتجزنا في السجن مرة ثانية، ثم أرسلونا مخفورين مع شرطيين. ولحسن الحظ، وجدنا عربة بعجلتين في المحطة التالية متوجهة الى ارضروم، وهناك سجنا أيضا لمدة ستة عشر يوما. ومنذ ترجلنا من السفينة، وجب علينا إكمال بقية الرحلة مشياً على الأقدام.

ان يكون المرء سجينا في مثل هذه الظروف، لهو العذاب الذي لا يطاق. ورغم تصفيدنا مع بقية السجناء في سلسلة واحدة، كنت احمل لحاف صديقي الثقيل، بدلا عنه، طوال مدة السفر. وحدث ذات مرة، ونحن على سفح جبل، ان تدحرج صاحبي جمشيد لمسافة طويلة، فغضب غضباً شديداً، وأخذ عصاه، وراح يضرب بها رأسه لنفاذ صبره، وكان يمشي خلفي والشرطي يمشي أمامي، فالتفت إليه، وقلت له: يا أخي.. لماذا تفعل ذلك؟

أجاب: ما هي جريرتي، ليعاملني الله بهذه الطريقة؟ أنظر الى حالتي هذه !

فأجبته ممازحا، وأنا أحاول تهدئته، ناظرا الى ضخامة جثته وخشونة ملامحه وعِظَمِ شاربه: لقد خصَّك الله بهذه الشوارب التي لا مثيل لها على الأرض. وبمجرد سماعه قولي، انفجر ضاحكا. وهذا ما قوّى من عزيمته وروحانيته.

وصلنا إيران بعد أرضروم، وكان البرد قارسا، وبما اننا كنّا نسير مقيدين على شكل رتل، لهذا لزم علينا التحرك والتوقف سوية وخوض جداول الماء معا. والحقيقة، كنّا في غاية التعاسة خلال الرحلة. بعد أرضروم وصلنا الى قزل ديزي، فجاء القنصل الإيراني للقاؤنا. وشاهدنا قوات عثمانية مرسلة لمقاتلة إيران كما فهمنا. وكانت العلاقات الإيرانية العثمانية متوترة، واحتمال نشوب حرب بينهما أمر وارد. بعدها أخذونا الى قصر رائع يخلب الألباب، يستخدمه موظفو الحكومة، مشيّد من الرخام الأبيض، ومزين بالنقوش الجميلة، فحبسونا فيه أربعة أيام، رحلنا بعدها الى إيران، ودخلنا منطقة تدعى أفجة في جبهة اذربيجان، وكان يسير معنا احد اللصوص الإيرانيين، رافقنا من ارضروم. وهنا نقلوا مسؤولية اعتقالنا الى ابن علي خان، من (ماكوه)، وكانت لديه مجموعة مقاتلين من جماعته، تدعمهم الحكومة الإيرانية، مجهزة ومتمركزة في هذه المنطقة، للدفاع عنها في حالة نشوب الحرب. حلَّ الليل، وأرادوا احتجازي في أحد السجون، فلم يجدوا غير بئر جاف أنزلوني فيها، فبقيت أصرخ وأنادي طوال الليل: (لا تتركوني

في هذا البئر، أنا لست نبي الله يوسف). فأخرجوني صباح اليوم التالي.

كانت معي ليرة واحدة، هي كل ثروتي في هذه الدنيا، أخفيتها بين طيات ثيابي. في هذه المنطقة، بعت قبعتي وحذائي، واشتريت بكل ما معي، بعض القماش الأذربيجاني المصنوع من وبر الجمال.

تحركنا نحو إيران، ودخلنا أفجة، فلم نجد قافلة مستعدة للرحيل في ذلك الوقت. لذا اقتادونا الى المقر الصيفي لحسين خان، حيث كان يعيش في حالة من العظمة والأبهة. فأخذونا إليه، وقدّموه لنا بغاية الاحترام. وحال رؤيتنا، راح يحلف بأغلظ الإيمان، ويلعن جنود المير علي خان – وبتدبير وعناية غيبية إلهية – أخذ أوراقنا بيده، وبدون قراءتها أو النظر إليها، مزقها ورمى بها بعيدا. ففرحت لمشاهدتي أوراقي تمزق بهذا الشكل، وتضيع معها تهمتي وحقيقة شخصيتي. لقد مزّق حتى أوراق اللص الذي بصحبتنا. والحقيقة، كنت أتوقع نوعا من الاستجواب من (حسين خان)، لذلك التفت الى أقا جمشيد – وهو رجل صادق وصريح وتقي، إلا انه كثير الكلام – وقلت له: يا أقا جمشيد.. أطلب منك شيئا واحدا فقط، أرجو ان تنفذه.

قال: تفضل.

قلت: أتوسل إليك.. وأستحلفك بحياة حضرة الباب، أن تترك الحديث لي عند استجوابنا، وتصمت ولا تقل شيئا.

فرد علي بقوله: حسنا.. ما دمت قد استحلفتني بهذه الطريقة، فلن أفتح فمي.

عندما قابلنا حسين خان، سألنا:

– من أين أنتم؟

– من استنبول.

– ولماذا ذهبتم الى هناك؟

– سمعنا بوجود مال كثير، فذهبنا لجمع بعضه. لكنه وبمجرد وصولنا، تصادف وصول ابن قيصر روسيا في زيارة الى استنبول. فقامت السلطات بمسح وتمشيط شوارع المدينة من المشتبه بهم. ولحداثة عهدنا وجهلنا بشوارعها ولعدم حملنا فانوساً ونحن في طريق عودتنا الى البيت. ألقت الشرطة القبض علينا، ووضعتنا على ظهر سفينة، وأبعدونا الى إيران.

قال حسين خان، وهو يشير نحوي: انه يقول الحقيقة. سأطلق سراحكم. لكن لا تحاولوا العودة الى استنبول ثانية.

قلت: يا سيدي.. ولماذا نعود إليها ولم نلق فيها ما يجذبنا لها ثانية؟

قال: يمكنكم الانصراف الآن.

فقلت: يا سيدي.. أنا لا أريد الذهاب.

فسألني عن السبب.

قلت: لأني ضيفك. ولا املك شيئا.

فقال يخاطب أتباعه، أعطوه شيئا من الطعام وحماراً لأجل رحلته. وفي يوم الرحيل، نصحنا بقوله: ان سلكتم هذه الطريق، فسيسطوا عليكم قطاع الطرق، ويسلبوكم كل شيء، إنها طريق خطرة غير آمنة. ثم التفت الى رجلين من أتباعه، وأمرهم بإيصالنا بأمان الى المحطة التالية. وأعطى خادمه الخاص حصاناً لمصاحبتنا. وقال لنا: أخبروني ان فقدتم شيئا، من هنا الى وادي خوي، وسوف أجعلهم يدفعون لكم بدلا عنه أضعافا.

لم يعر الخان اهتماما يذكر لرفيقنا اللص. وقبل تحركنا، قلت له راجيا: يا سيدي.. أرجو ان تصفح عن هذا الرجل أيضا. فالتفت إليه، وقال له: (سأطلق سراحك من أجل جماعتك أنت أيضا. اذهب فأنت حر).

وهكذا، اقتادونا بكل بقدير واحترام الى (خوى)، وهناك تركونا لحريتنا. فذهبنا الى الحمّام العمومي للاستحمام. وأكلنا وشربنا. وهنا، ودعت رفاقي، وأخبرتهم بأني مغادر إيران. أما رفيقي جمشيد، فقد ذهب الى سلماز، ومنها توجه الى الأرض الأقدس، حيث عاش هناك مدة طويلة، وتوفي قبل صعود حضرة بهاء الله.

* * *

ذهبت الى تبريز وبقيت فيها يوما واحدا، ومنها ذهبت الى زنجان. وبوصولي إليها، علمت بمقتل سيّد أشرف وأبا بصير. ورافقني الحاج أقاي أصفهاني، وكان في طريق عودته من بيت الله في عكاء، وأظهر لي كثيراً من الاحترام. كنت أسافر مشيا على الأقدام. وبحالة مزرية تعسة، وصادفتني خلال الرحلة مشاكل كثيرة، كما رفضت القافلة انضمامي إليها اعتقادا منهم باني من قطاع الطرق.

ذهبت مع الحاج ايماني زنجاني، لزيارة والدة سيّد أشرف في زنجان، وقدمت لها عظيم الاحترام. وباعتقادي انه لا توجد امرأة أعظم منها على الأرض. كانت تبكي بحرقة شديدة ودموع حرّى، ليس على ولدها، بل على أبي بصير، الرجل الذي اعتاد الخروج من بيته كل يوم، لتبليغ أمر الله حتى يوم استشهاده.

أما قصة شهادة أشرف، فهي كالتالي:

كان أشرف يعمل في حديقة منزله، عندما جاؤوا لإلقاء القبض عليه واقتياده الى دار الحكومة ثم الى السجن. ولأنه من السلالة النبوية الشريفة، وذو سمعة طيبة جداً، رفض الناس فكرة قتله، ولم يقبلوا بها. فأمر الحاكم معتقليه، بأخذه الى شيخ الإسلام[45] للتحقيق معه.

شاهد شيخ الإسلام، أشرف، يعلن صراحة، أنه بابي وانه من أتباع حضرة الباب. ورغبة من شيخ الإسلام، بتغيير رأي سيّد أشرف، بغية إنقاذ حياته، استدعى والدته الى السجن، وطلب منها محاولة التأثير عليه، وإقناعه بتغيير رأيه. فجاءت الأم الى ولدها، وقالت له: يا ولدي.. ان قتلت في سبيل حضرة بهاء الله، فأنت ولدي حقا، وان لم تقتل في سبيله، فأنت لست مني.

مرة أخرى، أحضروا سيّد أشرف الى شيخ الإسلام، فكرر محاولة إنقاذ سيّد أشرف، وقام بوضع عباءته فوقه وأخفاه، وصرخ قائلاً: (ان السيد أشرف، ينفي كونه بابياً. ويقول دعوني وشأني واذهبوا لحال سبيلكم). ولكن، لم يَرُقْ لأشرف، ما سمعه من شيخ الإسلام، فأخرج رأسه من بين طيات العباءة وصرخ: (لا.. أنا بهائي.. افعلوا بي ما شئتم). وحدث في تلك الأثناء، ان ألقي القبض على أبي بصير أيضا. وبأمر من الحاكم، ضربت

أعناقهما معا في الساحة العامة في وقت واحد. أمضيت اثنى عشر يوما في بيت أم أشرف، انتابتني خلالها حمّى شديدة. ورغم ما ألم بي من مرض، خرجت لالتحق بالقافلة ليلا. فوصلت سلطانية، ومنها ذهبت الى قزوين، حيث زرت سمندر، وكان له أخ مضطرب مهزوز لدرجة، لم أرَ في حياتي رجلا مثله، وتوفي بالسم فيما بعد، بطريقة مأساوية في استنبول[46]. كنت أنوي المضي في سفري نحو أصفهان، ومنها الى الأرض الأقدس. بقيت في قزوين عدة أيام، حيث قدموا لي بعض الدواء، فتماثلت للشفاء.

في ساعة رحيلي، تصادف وصول الحاج أبا الحسن أمين، لتوه من عكاء، فنصحوني بالانتظار للسفر معه. فسافرنا معا الى قم، ومنها الى كاشان ثم أردستان. وهنا يَمَمَ الحاج وجهه شطر يزد.

ذهبت لزيارة فتح علي أردستاني. وكان شخصا رائعاً، لقّبه حضرة بهاء الله بـ (فتح أعظم). ولقد أشار إليه حضرة بهاء الله، بهذا الاسم، خلال رحلة نفيه، من بغداد الى استنبول، وتفضل: (ان فتح أعظم، يصحبنا في رحلتنا هذه). وكان مقصد حضرته من ذلك، انه كان معه في عالم القلوب، رغم وجوده في أردستان.

قابلني الرجل، باحترام كبير، وأخذني الى منزله، وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث لمدة طويلة، ثم وصل الحاج محمد

إسماعيل الذبيح، فقال فتح أعظم: لا يمكنني استضافته الليلة في بيتي، عليكما بالذهاب الى منزل ميرزا حيدر علي. فذهبنا الى هنالك.

استفسر محمد إسماعيل مني، عن أحوال أخيه ميرزا أحمد كاشاني. فأجبته أن حالته سيئة – وكان ناقضا للعهد آنذاك – فلم يستحسن جوابي.

كان علي الرحيل صباح اليوم التالي، الى أصفهان. واستطعت مغادرة المدينة راكبا، بعد تحسن أحوالي المادية قليلا في قزوين. بوصولي الى أصفهان، علمت أنهم اجبروا زوجتي على الطلاق، والارتباط بزوج آخر، تحت ذريعة أني بابي. كما لم أعرف شيئا عن مصير أولادي.

احترت في أمري، وتساءلت أين أولي وجهي. فقررت الذهاب الى بيت صديق يدعى عبد الصالح – كان ساعتها في الأرض الأقدس – أما والدته، فكانت نسخة ثانية عن أم أشرف. لم يزل الظلام مخيما، عندما طرقت باب احد البيوت، ظنّا مني انه بيت محمد كاظم، زوج أخت عبد الصالح الخياط، فخرج لي شخص، قلت له: ليجلب محمد كاظم، عباءتي، أنا في طريقي الى القرية. أجابني: هذا ليس بيته. ان بيته هناك. فذهبت ووجدت سيّد تختته خناس[47] نائما عند الباب، فاستيقظ، وعرفني، وراح يسألني عن

أحوالي وأخباري، فأجبته على استفساراته، إلا أني لم أطلعه على أخبار أدرنه.

بعد مضي ليلتين، علم سلطان الشهداء[48] بوصولي، فدعاني الى بيته مع سيّد مهدي. فقابلته وهو في طريقه الى منزل إمام الجمعة، وكان يتصرف مع إمام الجمعة، وكأنه وكيله ومستشاره، إذ كان يقوم بزيارته، مرتين صباحاً ومساءً كل يوم، ويدير أعماله نيابة عنه، فهو من كبار التجار الأغنياء المحترمين. ألقيت عليه السلام، وكان بمعيته حوالي خمسة عشر رجلا، فأجابني بالمثل، وحاول التوقف للتحدث معي، لكني ودعته بسرعة، ومضيت في سبيلي. واظهر لي مرافقوه احتراما كبيرا، بعد أن لاحظوا نوع علاقتنا وقوتها. عندما وصلت منزله، وجدت مجموعة من الأحباء هناك، فألقيت التحية عليهم، واتخذت لي مجلسا بينهم. ولم يمض وقت طويل، حتى عاد سلطان الشهداء وأخوه محبوب الشهداء الى بيتهما، فهما يعيشان معا.

أمضيت تلك الليلة وطوال اليوم التالي عندهم، ثم ذهبت الى منزل عبد الصالح، وعلمت أنه غادر الى عكاء، فقررت السفر فوراً. لكن الأحباء نصحوني بالانتظار والتريث قليلا، فوافقتهم على رأيهم. عندها، طلب مني سلطان الشهداء، التوجه الى أردستان، لجلب مال خاص به، فذهبت وبقيت أربعة أيام، سلمت

خلالها رسالة الى فتح أعظم، وأنجزت لسلطان الشهداء بعض الأعمال. عدت بعدها الى أصفهان، وتوجهت الى بيت عبد الصالح، فطلبني سلطان الشهداء مرة أخرى، وسعى في تدبير أمر رحيلي، حيث اشترى لي بعض البضائع والحاجيات. وهكذا، كان مجموع الأيام التي قضيتها في أصفهان، خمسة عشر يوما، لم ألتق خلالها بزوجتي المتلهفة للقائي، خوفا عليها من العاقبة، فيما لو علم زوجها بذلك.

* * *

من أصفهان الى عكاء

رافقتني مجموعة من الرجال الى خارج مدينة أصفهان، وأنا أحمل بضائع وحاجيات صغيرة الحجم، يسهل التعامل بها، وكانت هي كل رأس مالي، إضافة الى ثلاثة أو أربعة تومانات، أعطاني إياها سلطان الشهداء.

بقيت أسافر مشيا على الأقدام. فوصلت كاشان، والتقيت بوالد علي قلي خان، الساكن في أمريكا الآن[49] "وهو من أقرباء أمين الدولة"[50]، وكان رجلا ممتازا. وبعد قضاء بضعة أيام، ذهبت الى قم، وسكنت مع مجموعة من الاصفهانيين، رافقوني في سفري، وكانوا أوغادا الى درجة كبيرة، لكني استطعت كسب صداقتهم. وهنا، صادفني شخص يصطحب بعض الدواب الخالية من الأحمال، فاستأجرت منه واحدة وسافرت معه. ولم ندخل خلال سفرنا مدينة قزوين، إذ مرَّ السائق قرب سلطانية، وبوصولي ضواحيها، سمعت الناس، يتناقلون خبر تسفير بعض البابيين من بغداد الى طهران، وعلمت فيما بعد أنهم كانوا، الملا حسن، وقانتة، زوجة أزل، وولدها نور الله[51]، وبصحبتهم أحد المؤمنين الخراسانيين، ويدعى عسكر صاحب. لكني لم أستطع التقاء قانتة، لأني سكنت في منزل صاحب البغال.

قاسيت كثيرا، خلال رحلتي الى همدان، وخرجت أبحث عن شخص، يملك بغالا للسفر عليها، عند توقفنا في أحد خاناتها. فعثرت على رجل، استأجرت منه بغلا، سلكت به طريقي الى سفج بولاق، حيث يسكن أحد الأحباء. لكني لم أذهب لزيارته، بل ذهبت الى أحد خانات التجار للمتاجرة. فتقدم مني خادم، لشراء شيء من بضاعتي، وبعد حديث قصير، طلب مني النهوض لمرافقته، ومقابلة ضابط الجمارك. فذهبت، ووجدت عنده بعض الاصفهانيين، ممن عرفوني، وأخبروه بأني أحمل ما يجب دفع رسوم عنه. فقال لي:

– من أين جئت؟

– من أصفهان.

– الى أين تتجه؟

– الى راوندوز في الأراضي التركية.

– هل معك ما يجب التصريح له؟

– لا. ولكني مستعد لأفعل ما تأمر به.

كانت تلك، بداية لحديث طويل بيننا، أمر خلاله بكرسي لجلوسي، كما أمر بإحضار بضاعتي وإعادتها لي. فحاولت

رفضها، لكنه أصر على إعادتها، بعد أن أبدى لي كثيراً من الاحترام. ومن ضمن ما قاله: (أنا ضابط جمارك، وأستطيع مساعدتك بالكثير، فقل لي ما يدور في ذهنك).

قلت، في الحقيقة لا شيء في ذهني، أنا ذاهب الى حيث أستطيع توزيع بضاعتي. فنهض وتقدم لتفحص البضاعة، مرة ثانية. ولمّا لم يجد فيها شيئاً ذا أهمية، عاد للجلوس لتكملة حديثه. وأخيرا، قام وترك المكان.

عندما شاهد رئيس القافلة، ما أظهره ضابط الجمارك، من احترام ومعاملة حسنة لي، راح يقلده ويفعل مثله، خاصة وان الضابط، بقي يزورني كل يوم في سفج بولاق.

أخيراً، وجدت فرصة مناسبة، وقلت للضابط.. أريد السفر الى راوندوز. فأجابني يمكنك ذلك، لكن، لا تذهب الآن فالطريق خطرة. انتظر وسوف أرسلك بطريقة آمنة الى هناك.

جاء صاحب البغال، فناداه ضابط الجمارك، واستفسر منه عن موعد رحيله. فأجابه: سيكون ذلك خلال يومين أو ثلاثة. فقال له الضابط: حسناً.. عليك باصطحاب هذا الرجل معك، فأنا أعهد به إليك. كما أكد، في نفس الوقت، صاحب الخان على الرجل، وكرر وصية الضابط.

وبالمناسبة، حصلت على جواز سفر لي. لذلك، ذهبت واشتريت سجادة من النوع الجيّد، ودابة بمبلغ ثمانية تومانات، جهّزتها للسفر. وعندما حانت ساعة الرحيل، واستعد رئيس القافلة للتحرك، جاءه ضابط الجمارك، ووضع يدي في يده، وأخذ منه عهدا بالحفاظ على سلامتي، وقال له: إذا فقدت شعرة واحدة من رأس هذا الرجل، فلا تريني وجهك في هذه المقاطعة ثانية.

ضمت القافلة، العديد من المسافرين، ومن ضمنهم، ثلاثة من رجال الدين، اشتروا مني بعض المقصّات وعلب الأقلام، نتيجة معاملتي الحسنة لهم. وفي إحدى نقاط التوقف، جاءني هؤلاء قائلين: نحن نسافر معك مشياً على الأقدام، ولدينا مشكلة صغيرة نسألك حلها. نحن نملك ثلاث لفّات من القطن، نود أن تحملها معك على ظهر دابتك. فوافقت على طلبهم، خاصة وان جميع المسافرين كانوا يعاملونهم بمنتهى الاحترام، فلقد كانوا من مريدي الشيخ عبيد الله، الذي تمرد أخيراً على ناصر الدين شاه.

وصلنا راوندوز، فأعدت للرجال، لفات القطن، وذهبوا الى حال سبيلهم. بعد مدة، جاءني شخص ليخبرني، ان الشيخ عبيد الله يبحث عني. فذهبت معه، وهناك وجدت رجال الدين حاضرين في مجلسه، وخلال اللقاء، امتدحوني أمامه، لدرجة أن الشيخ أكرمني كثيراً. واستضافني عنده، مع دابتي وحاجاتي. بعد فترة، قلت له:

يا سيدي، لا يمكنني البقاء عندك أكثر من هذا، خاصة ودابتي معي. أجاب، حسن جدا. وأرسل من يبحث لي عن بيت للسكنى. فانتقلت إليه، وبقي هو، يبعث ورائي لزيارته باستمرار، ويعاملني بغاية الاحترام. كان هذا الشيخ محط احترام وتقدير كبيرين بين الأكراد، لدرجة أنهم كانوا يقسمون اليمين، بذيل ردائه، بل وأحيانا، بحذائه. بعد فترة، قلت له: يا سيدي الشيخ، علي بالرحيل الى مدينة الموصل. أجابني انتظر قليلا، فلي صاحب قافلة من معارفي، هو الآن في طريقه من الموصل الى هنا، وعند حضوره، يمكنك الذهاب معه، فالطريق غير آمنة.

انتظرت عدة أيام، حتى وصلت القافلة. فأرسل الشيخ في طلبي، وقال لرئيس القافلة، وهو يوصيه: أريدك ان تصطحب هذا الرجل معك، وبعودتك، تجلب رسالة منه، تثبت وصوله بسلام. ثم كرر امتداحي أمامه عدة مرات.

ومن باب التعارف والمجاملة، قدّمت للرجل، بعضا مما أحمل من تبغ وزبيب، لكسب صداقته. ومقابل ذلك، اصطحبني الى ملتقى التجار، ووفر لي ما أحتاجه، مظهرا لي كل احترام.

لم نزل على ضفاف نهر دجلة، ولم ندخل مدينة الموصل بعد، عندما جاء من يخبرنا، أن السلطات العثمانية، تصادر جميع الدواب من الناس، لتسخيرها في الحرب. فجاءني صاحب القافلة،

يطالبني بكتابة رسالة الى الشيخ عبيد الله، أؤكد بها إتمامه مهمته على خير وجه، ووصولي الى هدفي بسلام. فأخبرته اني لا أعرف الكتابة، وعليه ان يطلب من غيري، ممن يعرف الكتابة، كتابة الرسالة. أخيراً، ذهبت الى ضفة النهر، واستأجرت قارباً للعبور الى ضفة النهر الأخرى، بينما عاد صاحب القافلة أدراجه.

وحال دخولي مدينة الموصل، ذهبت لزيارة بيت زين المقربين، ومكثت عنده عدة أيام، أطلعني خلالها، على أحوال عكاء، ومنع سلطاتها الدخول والخروج منها واليها. فقلت له، أنا ذاهب الى عكاء، وليكن ما يكن.

ولما شاهد الأحباء، إصراري على الرحيل، نصحوني بالتعجل، للحاق بأحد مؤمني بغداد العرب، الذي يَمَمَ وجهه صوب عكاء، قبل وصولي بفترة قليلة، وقالوا لي: طالما ان الرجل عربي، فلن تثير السلطات المشاكل معه عند دخوله المدينة. فأسرع للحاق به والدخول معه.

غادرت الى مدينة كركوك، ومنها الى ديار بكر، ثم الى حلب، حيث استأجرت منزلا فيها، كما ذهبت لزيارة أحد المؤمنين المسنين، وكان يعمل في طلاء الحلي. هنا، في حلب، استطعت اللحاق بمحمد، الرجل البغدادي، الذي كنت في أثره، وعلمت منه،

أن والده من الأثرياء، وقد حرمه من الميراث، بسبب ايمانه بالدين الجديد، لذلك يسافر هو، مشياً على الأقدام.

في حلب، عرض علي مؤمن حلبي، بيع دابتي، بعد علمه برغبتي في ذلك، بثمانية تومانات، وهو نفس سعر شرائها، رغم انها، كانت تساوي أكثر من ذلك. ثم استأجرت دابة أخرى، لأسافر بها الى شاطئ البحر المتوسط. وهناك، بعت كل بضائعي في الميناء، قبل ركوبي السفينة التي رست في ميناء بيروت، حيث نزلت أحد الخانات، ويدعى محكمة القضاة.

كان رفيقي محمد، رجلاً سريع الغضب بطريقة لا يمكن وصفها، ولم أشاهد في حياتي شخصا مثله، إلا نبيل زرندي ومحمد مصطفى بغدادي، اللذين كانا سريعي الثورة والغضب مثل صاعقة.

خرجت من بيتي في بيروت، لشراء بعض الطعام، وحالما شاهدني محمد عند عودتي بالغذاء، راح يصرخ، ويقول: (ما أنت إلا كلب...!). فبقيت صامتا أستمع إليه بهدوء، أنتظر فرصة للكلام، وعندما حان دوري، قلت له: (أقا محمد.. تعال وأجلس بجانبي، وكُل معي، فان الإنسان يمكنه الاحتداد والغضب متى شاء. فلا تتعجل الآن...). عندها، انفجر ضاحكا، وقام ليقبلني، وقال: (حسنا.. ما هو نوع الأكل).

أدركت فيما بعد، ان الرجل، تصّور إضماري السوء له، أو رغبتي بدفعه ثمن الطعام. وفي النهاية، اعتذر لي عن ظنه ومسلكه.

كنت أحمل ثلاث رزم من الرسائل، الى حضرة بهاء الله. فخطرت في ذهني، وأنا في بيروت، فكرة شراء بعض الحاجيات الصغيرة، ووضعها في سلة، للمتاجرة بها، كحجة لدخول عكاء. فاشتريت تذكرة سفر، وتوجهت نحو السفينة. فاستوقفني رجال الجمارك. ولكي لا يتأخر صاحبي محمد عن اللحاق بالسفينة، طلبت منه الإسراع في الصعود إليها. وعندما استطعت تخليص نفسي منهم، لحقت به، لحظة استعدادها للإبحار صوب عكاء.

وصولي عكاء

صعدت الى ظهر السفينة، رغم فقداني تذكرة سفري. وكان صاحبي محمد، قد صعد على متنها. كنا ما نزال في وسط البحر، تلك الليلة، عندما وصلت سفينة ثانية من اتجاه آخر، فاستطعت بشتى الوسائل الصعود إليها والتوجه الى عكاء. فوصلت ساحلها خلال الليل. وفي هذا الوقت، كان قد مضى على إبعادي ونفيي، سنة كاملة، هي سنة 1869م.

اتجهت فور وصولي الى بيت المسافرين، حيث قابلت الحاج عباس مرة ثانية (وهو من أعراب بغداد، نقض العهد فيما بعد). وكنت قد قابلته في بيروت، وكان متوجها الى عكاء ساعتها. وقلت له: لا تخبر أحدا في عكاء، ان استاد محمد علي، قادم. قلت له ذلك، بسبب انه كان بحوزتي، ما يقرب من ستين رسالة والتماس، أرسلها المؤمنون الى حضرة بهاء الله، رغم شدة اعتراضي على حملها، إلا أني أخذتها بسبب إصرارهم الشديد، فربطتهم حول ساقي، خوفاً من اكتشاف السلطات لها.

وعلى عكس ما أوصيته، أخبر الحاج عباس، حضرة عبد البهاء بموعد وصولي، وقام حضرة عبد البهاء بدوره، بإعلان ذلك للأحباء، بقوله: (ان استاد محمد علي سيصل اليوم).

غادرت السفينة، حاملا حقيبتي متوجها نحو البوابة، فشاهدت مجموعة من الأحباء، تقف مجتمعة هناك. وبسبب تشابه ملابسنا – لأني عدت بنفس الملابس التي تركتهم بها قبل عام – لم تستطع الشرطة تميزي عن الآخرين ومنعي من الدخول. وفي لحظة وصولي، تقدم أحد الحراس وخاطبنا: (هيا ادخلوا). فقلت: (وماذا عن حاجياتي؟). قال: (احملها وادخل).

توجهت فورا، الى مكان سجن الجمال المبارك، داخل الثكنة. فتركت حاجياتي، وصعدت الى الطابق العلوي، حيث تشرّفت بلقائه في زنزانة، تدعى غرفة أقا جان، ووقعت على أقدامه أقبلها. فتفضل يخاطبني: (يا أستاد محمد علي.. لم يفتك الكثير لتراه، إلا مشاهدة منظر تسفيرنا الى عكاء. ومشهد حضور بديع[52] الى هنا. لقد قابلناه وأسكناه في هذه الغرفة، كنّا معا، وحولناه الى كرة من نار، وتركناه يذهب، بعد ان أوصيناه، بعدم مصاحبة أي شخص خلال الطريق، أو دخول أي منزل، أو التعرف على أي إنسان. وأمرناه، بتسليم اللوح بيد الشاه شخصياً. فذهب لمقابلة الشاه، وجلس على صخرة في حقل، اعتاد الشاه، تمضية وقته في الصيد هناك، وقام برفع الرسالة بيديه عالياً، ورفض تسليمها إلا ليد الشاه، قائلاً: "علي بتوصيلها ليد الشاه شخصياً". فاستدعاه الشاه، واستلم منه الرسالة. وبعد قراءتها، أدرك أنها من البابيين، فأمر باعتقاله لخوفه منهم. ولا يهم ما جاء في التحقيق معه،

لكنه، لم يكتم إيمانه، ولم يتفوه بكلمة واحدة عن الأصحاب. وفي النهاية، قتلوه. ان هذه الأمور بالنسبة لي، هي حقا، مثل الخمر بالنسبة للشاربين).

كما تفضل حضرته، مكررا عدة مرات، بعد استشهاد الحاج محمد رضا[53]: (ان دمه، سفك بالطريقة التي نرتضيها. ان دم بديع، ودم الحاج محمد رضا، سفكا برضانا التام).

صرفني من محضره المبارك، بعد أن قصَّ عليَّ، حكاية بديع بتفصيل كبير. فخرجت من غرفته الى الطابق السفلي للثكنة، وقمت بجمع ما معي من نقود، وسلمتها الى ميرزا محمد قلي[54]، لتقديمها الى حضرة بهاء الله.

بالمناسبة، عندما غادر حضرة بهاء الله بغداد، كان لميرزا مهدي كاشاني، أختاً، رغب في تزويجها الى حضرته، إلا ان حضرته لم يتزوجها، وأمر بإيداعها بيت أخيها. ظل ميرزا مهدي، يبعث بالعديد من الرسائل والالتماسات، طالبا فيها زيارة عكاء، وبقي على هذه الحال، حتى وصلها في النهاية، ومعه أخته.

ذات مرة، استدعاني حضرة بهاء الله، وتفضل قائلا: (استاد محمد علي، عليك بالذهاب الى الباشا حاكم عكاء، ونقل ما سأقوله لك بالضبط).

فذهبت الى الباشا، وقلت له: (جئت الى هنا، مع عدد من أفراد بيت حضرة بهاء الله، منذ عدة أيام، وأنا الآن أقيم في الثكنة كضيف عندهم. وأملي أن تأذن لي بممارسة التجارة هنا). فأجاب الباشا: (حسناً.. اذهب، وأبدأ عملك). ففرحت كثيراً، وعدت الى حضرة بهاء الله، أخبره النتيجة. فتفضل: (اذهب واستأجر دكانا. وأعلم أن السبب الحقيقي لذلك، هو أن هذا المحل، يجب أن يفتح باسم الله ومن أجله).

كانت عملية العثور على محل خال في عكاء، ليست بالأمر اليسير، وبالصدفة وجدت محلاً خالياً، فأسرعت لاستئجاره ونقل بضاعتي إليه، والشروع في العمل. كما نصحني حضرة بهاء الله، بالاتجار بالحاجات الصغيرة الضرورية، فهي تجارة مربحة وغير متداولة في مدينة السجن. زاولت في عكاء، نفس عملي اليومي السابق الذي مارسته في أدرنه، وهو نقل جرار ماء الشرب، من خارج المدينة الى البيت المبارك. أما الآن، في هذه الأيام، فالماء يدخل مدينة عكاء، من خلال ساقية قديمة، كانت مهملة، أصلحها حاكم المدينة، بعد ان اقترح حضرة بهاء الله، عليه ترميمها واستغلالها. كان هذا الحاكم، يتمنى تنفيذ أي رغبة، يأمر بها حضرة بهاء الله.

ذكرياتي في أدرنه

لنعد الى أيام أدرنه. فبعد حديثي السابق مع أزل، بدأ أمره ينكشف تدريجيا. وذات يوم، جمع حضرة بهاء الله، كل محتويات البيت وأثاثه، من بسط وأوان نحاسية وشموع، وقسّمها الى نصفين، ثم أرسل لأزل حصته. وكان قد سبق وان أرسل درويش باقر، الى منزل أزل، ليقوم على خدمته، لكن هذا، انقطع عن الذهاب، حال حدوث عملية الفصل، وقال: أنه لا يستطيع ذلك بعد الآن.

مضى بعض الوقت، وعاد حضرة بهاء الله، لإنزال الألواح الى أصحابه، وكان من ضمنها، لوح الى مير محمد، وهو رجل جريء جداً من كازرون، جاء من سامسون الى أدرنه. في هذا اللوح المبارك، يطرد حضرة بهاء الله، سيد محمد أصفهاني، من بين الأصحاب، بعد ان أعطاه ما يحتاجه من المال. بعد قراءة مير محمد، هذا اللوح، ذهب الى أزل – وكان آنذاك وقت الفصل – وخاطبه: (ان مولانا حضرة بهاء الله، يدعي "ان الحكم إلا لي". ويعلن ضرورة خضوع الجميع لأمره. وهذا لوحه النازل باسمي، يصرح بذلك. فما قولك؟).

أجاب أزل: ان حضرة الباب، عيّنني خليفة له. ان خليفته هو أنا.

أجاب مير محمد: لا تربكونا.. أنت تدعي هذا، وهو يجزم بذلك. اذهب واجلسا معا، وسوّيا هذا الإشكال بينكما.

أجاب أزل: هذه هي رغبتي بالضبط.. وبمكاني إثبات صحة دعواي، بالطريقة التي يختارها هو.

ذهب مير محمد، الى منزل حضرة بهاء الله، واخبر ميرزا أقا جان، بما سمعه. فذهب هذا بدوره، الى حضرة بهاء الله، وأخبره بالموضوع، وعاد بالجواب التالي: (هذا ما أريده. دعه يحدد المكان، وسأكون هناك، وليعين من يشاء حكما، حتى تتضح الأمور وتنجلي تماماً).

في هذه الأثناء، كان حضرة بهاء الله، يسكن في بيت لأحد البقالين، استأجره الأصحاب له، يبعد كثيرا عن بيت أزل وجامع السلطان سليم. فعاد مير محمد، ليذهب الى بيت أزل، ليخبره بالجواب، وقال له: عليك بتحديد مكان اللقاء، وسوف يحضر حضرة بهاء الله الى هناك للمناقشة. فكّر أزل قليلا، ثم قال: أعتقد ان جامع السلطان سليم، مكان مناسب. سأذهب الى هناك، وسنقول ما نريد. عاد مير محمد بالجواب، الى حضرة بهاء الله، فتفضل قائلا: حسن جداً. متى سيحضر؟ رجع مير محمد، مرة أخرى الى بيت أزل، وسأله عن وقت الحضور، فأجاب: غداً عند الظهيرة.

إذن.. الموعد غداً عند الظهيرة...!!!

خرج حضرة بهاء الله، قبل ظهر اليوم التالي، من قسم بيته الخارجي، بعد أن منع أتباعه، من اللحاق به، ففعلوا إلا مير محمد، فقد ذهب معه. وبوصول حضرته الى الجامع، لم يجد أثراً لأزل[55]. فانتظر زهاء الساعة، إلا ان أزل لم يظهر، مما دعا مير محمد، للذهاب الى بيت أزل، مرة أخرى، وهناك قال له: أنظر يا هذا.. عليك بالحضور كما وعدت. فأجابه أزل: اذهب أنت.. وسأحضر بعدك.

وتكررت عمليه ذهاب وإياب مير محمد، مرتين أو ثلاث، لكن أزل لم يحضر. وبهذا التردد والانسحاب والانزواء، اتضح للجميع بطلان وكذب دعواه.

أما حضرة بهاء الله، فبعد قضاء ساعتين أو أكثر، عاد عن طريق السوق، وهو ينزل الآيات، كما كان يفعل عند ذهابه. وتفضل عند دخوله البيت: (ادعى انه سيأتي. لكن، لم يظهر له أثر). بقي مير محمد، يعلن بين الأصحاب، ويكرر: (أن أزل ليس إلا كاذباً. فلم يرنا وجهه أبدا).

بعد هذا المنعطف التاريخي الخطير، استأذن مير محمد للرحيل، وغادر أدرنه الى استنبول[56].

* * *

حدث ان ذهبت زوجة أزل الشيرازية، والدة أحمد، بعد حادثة الجامع الى السلطات في استنبول شاكية، وادعت ان حضرة بهاء الله، قد تركهم منذ مدة طويلة، وقطع عنهم مخصصاتهم الحكومية، وهم الآن محتاجون ولا يملكون ما يشترون به طعاما. فقالوا لها: ارجعي وسننظر في هذا الأمر.

فجاء أحد المفتشين، من مقر الحكومة، وقام بفحص السجلات والتدقيق فيها، واتضح أن الشكوى، ليست سوى محض كذب وافتراء لا غير[57]. (لان حضرة بهاء الله، كان يقسّم الأموال المخصصة له وللأصحاب، بعد عملية الفصل حصصا، فيعطي قسما منها الى ميرزا موسى، والى ميرزا محمد قلي، والأصحاب). وعلى سبيل المثال، كانت حصتي منه خمسة "مجيديات"[58]. وبعد أن يوزع للجميع حصصهم، يحتفظ لنفسه، بجزء قليل من المتبقي، يسلمه بيد ميرزا أقا جان، ويرسل الباقي (وهي حصة تزيد على حصة أي فرد في الجماعة) الى أزل. بعد الفصل، اتخذ أزل لنفسه خادما واحداً لا غير، ولم يسكن معه غير سيد محمد، الذي ترك تلميذه في تكية مولوي، (ان كل أعمال أزل الشيطانية الحقيرة، كانت من تدبير سيد محمد). لم يحاول أحد من الأصحاب، الذهاب لرؤية أزل أو زيارته، سوى شخص واحد

يدعى (الحاج إبراهيم كاشاني) وكان يعمل سائسا للخيل، رافقنا في سفرنا من بغداد الى استنبول بدون إذن من حضرة بهاء الله، وهو يسكن الآن مع بقية الأصحاب في نفس البيت.

كانت مصروفاتنا مقسمة كلٌ على حدة، في هذا البيت، وعلى كل فرد تدبير أمره، بالطريقة التي يراها مناسبة له. فكان إبراهيم هذا، يتردد بكثرة على منزل أزل وسيد محمد، بطريقة لم نكتشفها أو ننتبه لها. وخلال ذلك، تدبّر هذان الاثنان، مع إبراهيم، خطة لارساله الى إيران، في مهمة خاصة، حيث قال سيد محمد لإبراهيم: سنرسلك الى إيران، ونبعث معك رسائل كتبها جناب أزل، وسأذيلها أنا، برسالة أشرح فيها ما يدور هنا، وعليك بإيصالها لكل مقاطعات إيران. فاقتنع هذا الأحمق بالعملية، وعزم على تنفيذها. وهكذا.. جهزا كل شيء لرحلته، ورسما خطتهما، وهيئا المال اللازم لسفره، وكتبا الرسائل المطلوبة، وأبلغاه التعليمات، محددين له المناطق الواجب زيارتها.

أتذكر انه سبق لأزل، أن طلب من أحباء إيران، عباءة له. وبعد فترة، وصلت العباءة الى يد حضرة بهاء الله – أثناء خدمة صادق علي درويش في بيت أزل – فألقى حضرته، نظرة عليها، وتفضل: (انها عباءة جيدة). ثم خاطب صادق علي، وقال له: (سلّمها لأزل). ففعل صادق ما أمر به.

أعطى حضرة الجمال المبارك، بعد مغادرة بيت أمر الله، أزل وسيد محمد، حصتهما من كل شيء، وتركهما يرحلان لشأنهما.

بعد هذا الفصل، أغلق حضرته، باب بيته، واعتزل الجميع، وأعلن صراحة، عدم السماح لأحد بزيارته أو التحدث إليه، وهذا ما حدث بالفعل. فقد تركنا جميعاً كل لشأنه، وصرف خادمه نجف علي وأعاده الى إيران، قبل مغادرته البيت المذكور، ولم يبق لخدمته، سوى محمد إبراهيم زنجاني، وميرزا أقا جان، لا غير.

وبمجرد عودة العلاقة بين أزل وسيد محمد من جديد، عاد الثاني، لبث أفكاره الخبيثة الى أزل، يوما بعد يوم. هذا، بالإضافة الى انه، كان يقضي معظم أوقاته في محلات الإيرانيين.

انقضت أيام وأسابيع، عزلة حضرة بهاء الله. وكانت طويلة وقاسية، بالنسبة لنا. وجاء اليوم الذي أمر حضرته، باعادة فتح باب بيته في وجه الجميع، وترك لهم حرية الاختيار، في الانضمام إليه أو الابتعاد عنه.

* * *

كانت هنالك غابة جميلة كثيفة الأشجار، تقع خارج مدينة أدرنه، يخترقها نهر من وسطها، وفي داخلها قصر كبير، يعود لأحد الملوك السابقين، اعتدت الذهاب إليها بمفردي كل يوم،

للتجـول فيهـا والتمتـع بمنـاظر أشـجارها. ذات يـوم، وانـا هنـاك كعادتي، أقف عند جذع شجرة، تنتابني حالة من اليأس الشديد. شاهدت فجأة، حضرة عبد البهاء يعبر النهر وحيداً، من الضفة الأخرى، متجهـا الـى نـاحيتي. حاولـت الاختبـاء حـال مشـاهدته، معتقداً عدم رغبتـه فـي لقائي أو التحدث معـي، خاصـة وانـي لـم أسـتدع الـى البيـت المبـارك بعـد، (كمـا ان أقـا جـان، كـان يشـيح بوجهه عن الأصحاب، كلما التقى بهم في السوق).

وصل حضرته، الى مكان اختبائي بين الأشجار، ونادى: (يا أستاد) !

أجبته: نعم.

قال: تفضل أخرج. دعني أراك.

فخرجت، وبدأت في البكاء وذرف الدموع، وشكوت لحضرته أمر إبعادي، فواساني بعطفه المعهود وكلماته الجميلة، وتفضل: (..لا.. ليس الأمر كذلك. لقد عدتم الى ظل حماية حضرة بهاء الله. فلا تحزن. وأضاف ممازحاً، ألا تسمع ضفادع النهر وهي تنادي (اذهب). عليك أن تكون مخلصا وصادقا، ولا تبالي بما يقوله الناس).

بعدها، تجول في الغابة قليلا، ثم غادر المكان. فعدت الى البيت عبر طريق آخر، وأنا أشعر بالراحة التامة.

* * *

لقد أغلق الجمال المبارك باب بيته، قرابة الشهرين، وكان مقصده من ذلك، ترك الأصحاب، كل لذاته، ليقرروا ما يفعلون. فيلتجئ إليه المخلصون، ويبتعد من يرغب في ذلك. فثبت الجميع، ولم يهتز منهم إلا الحاج إبراهيم.

عادت أبواب بيت حضرة بهاء الله، لتفتح على مصراعيها من جديد، وأرسل في طلبنا بعد الظهر. فحضرنا جميعا، ووجدناه جالساً في قسم بيته الخارجي، قرب السماور على الأرض، يسقي زائريه الشاي بنفسه. (لم يسبق أن سقى حضرته زائريه الشاي من قبل بنفسه، ولا مرة واحدة).

أما بالنسبة لنا، فحالما وقع بصرنا على هيكله المبارك، أجهشنا بالبكاء. فراح حضرته يهدئ من روعنا ويردد: (لماذا تبكون؟ ها أنا ذا بينكم. فلم كل هذه الدموع؟).

ثم امرنا بالجلوس، وصب الشاي لنا بيديه المباركتين، وقام ميرزا أقا جان، بتوزيعه علينا. بعدها، نهض وترك مجلسنا، متجها نحو قسم بيته الداخلي.

استأجر حضرة بهاء الله، بيتاً للأصحاب، قرب بيته، مكوّناً من طابقين ومطبخ، إضافة الى حوش واسع. فشرعنا في اليوم التالي من نزولنا فيه، بتنظيمه وإعداده، وزرعنا أرضه واستعملنا ماء بئره العذبة لسقي مزروعاتنا، وأبدينا اهتماما كبيرا، بتنظيم الحديقة وتهيئة سواقي أزهارها، فأصبحت بمضي الوقت، جميلة تسر الناظرين.

أما حضرة عبد البهاء، فكان يخالط عامة الناس في تلك الأثناء، تارة يصطحب نائب الحاكم الى بيتنا، وأخرى حاكم المدينة. وعند زيارته، كنا نفرش له حصيراً من القش، ليجلس عليها ويتناول الشاي.

* * *

من جملة من سكن في بيتنا، أنا ودرويش، رجل طيب القلب، لا تشوب سمعته شائبة، يدعى حسين، اصطحبه نبيل زرندي معه من بغداد عند قدومه الى أدرنه. ذات يوم، سقط حسين مريضا بداء الجمرة، وتقرّح جسمه. وفي احد أيام مرضه ومعاناته الشديدة، قال لي: (يا استاد محمد علي، لي رغبة ملحة في التشرف بحضرة المولي وبقية الأغصان[59]. أريد مشاهدتهم قبل موتي.

قلنا له: يا أمي.. (وكنا نلقبه هكذا مزاحا).. يا أيها العجوز اللئيم المتمدد هنا، انك لن تموت. اقسم لنا، بأنك ستفعل هذا بعد رؤيتهم، ان نفذنا رغبتك.

ذهبت للبيت المبارك، وأخبرت حضرة المولى برغبة حسين. فقام الجميع بزيارته وتحقيق رغبته.

بعد انتهاء الزيارة، ومغادرتهم غرفته، قلت له: حسناً يا ماما.. لقد وعدتنا.. فلماذا لا تموت الآن؟ هيا مُتْ. أجابني.. هنالك خدمة أخرى، أحب ان أسالك إياها. وبعدها، اطلب ما شئت وسأفعل. أجبته: ماذا تريد؟ قال: اذهب الى مقهى أقا محمد باقر، واحضر لي قليلا من التبغ الجيد، فانا أريد التدخين. ذهبت، واشتريت له قليلا من التبغ وجهزت نارجيلته، وراح يدخنها[60]. بعد انتهائه من التدخين، اعتدل في جلسته، وأعلن لنا قائلا: (لن أموت.. لقد عادت لي الحياة مرة أخرى).

لكننا لم نتركه، وبقينا نطالبه الوفاء بوعده والموت. وكنا نقول له: (عليك الوفاء بوعدك.. هيا مت..). أما هو، فبقي يردد: لن أفعل. لكن جسده، كان قد مليء بالقروح. وبعد ان دام مرضه زهاء الأربعين يوما، صعد الى الرفيق الأعلى.

حاولت وصاحبي درويش، القيام بنقله الى المغسلة، لغسله وتكفينه. فصعب علينا نقله، وهو على تلك الحالة، فقلت لدرويش: اذهب واجلب بعض الماء، وسأقوم بغسله وتكفينه هنا، ثم نقوم بدفنه. وهكذا فعلنا.

* * *

لنعد الى الحاج إبراهيم الكاشاني، وزياراته السرية، لأزل وسيد محمد. فبعد إعادة فتح باب بيت الجمال المبارك، في وجه أتباعه. ظهر الحاج إبراهيم، في جناح الضيوف، يحمل حقيبة بيده، ويرتدي ملابس السفر. واخبرنا، انه جاء ليأخذ الإذن بالرحيل. وفي هذه اللحظة، كشف لأقا جان، عن تردده المسبق على منزل أزل وسيد محمد، بغرض معرفة أخبارهما، وكشف ما يدبرانه، وعن عدم رغبته في السفر، بعد ان توصل الى بغيته. وانه ليس لأحد من الأصحاب علم بما كان يفعله. كما اخبرنا، أنهما أوكلا إليه، مهمة الذهاب الى إيران، لنشر تعاليمهما، وأعطياه مجموعة من الرسائل والوثائق، لإيصالها الى بعض الأشخاص هناك.

عندما علم حضرة بهاء الله، بما حدث، أمر أقا جان، ان يذهب الى الحاج إبراهيم، ويخبره: (عليك بالسفر الى إيران، كما أمرت، لإنجاز ما أوكل إليك من مهام، وتسليم الأمانات الى أصحابها، دون معرفة فحواها). إلا انه رفض الرحيل، رغم مطالبتنا له

جميعـا، بالإذعـان لأوامـر حضـرة بهـاء الله. لكـن هـذا البهـائي المتذبذب المسكين، لم يستطع تحديد ما يريده بالضبط. كما ان أزل وسيد محمد، اعتقدا انه سافر لإنجاز مهمته.

بمرور الوقت، راح الأصحاب، يفتحون ويقرأون رسائل وكتابات أزل، شيئا فشيئاً (من تلقاء أنفسهم، وبدون علم حضرة بهاء الله).

وعلموا، ان أزل، نسب لحضرة بهاء الله، كل أعماله الشيطانية، التـي ارتكبها هو بنفسه. وجاء في بعض رسائله: (لقد خططوا لقتلـي. أنـا مختبـئ الآن، ولا يزورنـي أو يسـأل عنـي، سـوى سـيد محمد. حتى أنهم لم يسلموني عباءة الفرو، التي ارسلتموها لي). عندما سمع درويش،ما جاء في الرسالة، راح يخبر كل من يراه، انه حمل العباءة بنفسه، وسلمها لأزل شخصياً.

* * *

بعد فترة.. ترك حضرة بهاء الله، بيت رضا بك، وانتقل الى بيت البقال. ومع عدم احتواء البيت، على قسم خارجي لاستقبال الضيوف، إلا ان قسمه الخاص بالعائلة، كان رائعا جدا. وخصص لحضرة المولى جناح فيه.

وكعهدي سابقا.. قمت على خدمة العائلة المباركة، وعملت في غرفة الشاي والقهوة. وبقيت أرافق حضرة عبد البهاء، في زياراته، أينما ذهب.

بقي الحاج إبراهيم، يسكن خارج أدرنه، مع مجموعة من الأصحاب، حيث يعيش مشكين قلم وسياح، رغم استلامه مصاريف سفره الى إيران من أزل. وكما ذكرت سابقا، أصر هؤلاء الأصحاب (مشكين قلم وسياح)، على ترك مدينة أدرنه. فوافق حضرة بهاء الله على سفرهما، وتفضل: (حسنا جداً.. يمكنكم الذهاب). وهكذا، توجهوا الى استنبول، حيث تم اعتقالهم.

ان هذا البيت الذي غادرناه في أدرنه، والخيول بصحبتنا، وقاسينا ما قاسيناه من كل تلك المتاعب. هو نفس البيت، الذي كنت أحمل إليه الماء، من خارج المدينة كل يوم.

* * *

عدت ذات يوم، من خارج البيت، ودخلت غرفة الضيوف، فأخبرني أحدهم، ان أقا جمال بروجردي[61] موجود هنا، فذهبت الى الغرفة، ووجدته جالساً في احد أركانها، منتظراً إذن تشرفه بمحضر حضرة بهاء الله، وملتفا بعباءته، وعلى رأسه، عمامة

كبيرة، ومخرجا يده من تحت عباءته، بطريقة يسهل تقبيلها، لمن يشاء. كان رجلا حقيراً بالتأكيد!!

كنت اعتقد نفسي آنذاك، ذكياً بما فيه الكفاية. فذهبت، وفتحت الباب ودخلت عليه، وقلت له: (الله أبهى). ثم اتخذت لي مجلسا، أمامه مباشرة، بطريقة احتقرته فيها، وتظاهرت بالعظمة، وتجاهلته تماما. ورحت أتمدد في جلستي أحيانا، وأقف ثم أعود وأجلس أحيانا أخرى. كنت أفعل ذلك، للتقليل من شأنه ليس إلا، لأنه كان يجلس في غرفة الاستقبال الخاصة بحضرة بهاء الله، بطريقة، يظهر فيها أهميته. بعدها، عدت لأجلس ثانية، ثم قلت له: (وكيف حالك؟) فلم يجبني بشيء، بل أومأ برأسه فقط. أخيرا، نهضت وتركته لوحده.

حان موعد تشرفه، بلقاء جمال القدم، وكان الوقت بعد الظهر، فجاء من يخبرني، بأن اصطحبه للتشرف. ذهبت إليه، وقلت: (أقا جمال.. بسم الله.. تفضل). فنهض، وتقدم، وأنا برفقته، وصعد السلم، وتركته عند مدخل الغرفة، ليدخل بمفرده. وحال تخطّيه عتبة الباب، وأمام مجلس الجمال المبارك، تظاهر، وبحركة مكشوفة مفتعلة، بالارتجاف قليلا، وأسقط نفسه على الأرض. فنهض الغصن الأطهر (ميرزا مهدي)، وتقدم لمساعدته على

النهـوض. إلا ان حضـرة بهـاء الله، تفضـل: (دعـه وشـأنه.. فسينهض بنفسه).

وبالفعل.. نهض الرجل من مكانه بهدوء، ولملم نفسه، واتخذ له مجلساً. مضى الوقت، وهو جالس في مكانه، لكن حضرة بهاء الله، لم يخاطبه بشيء. فنهض ليستعد للانصراف، بعد ان أعطاه حضرته، الإذن بذلك. نزل أقا جمال بروجردي، للطابق السفلي، وبقي عدة أيام. سُمِحَ له بعدها بالسفر الى إيران. فعاد ليعلن عن نفسه، بدلا عن تبليغ ونشر الأمر المبارك.

كان رجلا فاسداً منذ البداية، ولم يكن هدفه سوى التسلط على الجميع.

حسناً.. لنعد الى قصتنا.. عندما أخذنا الخيل الى استنبول، ولاقينا ما لاقيناه، من مصاعب جسام هناك. كتب حضرة جمال القدم، الى السلطات الحكومية في استنبول، يخبرهم بوجوب سداده بعض الديون المترتبة عليه، للقصاب والخباز وغيرهم، وبعدم إمكانية سفره دون ذلك، وطالبهم بضرورة إرسال أثمان الخيول، لسداد ديونه قبل الرحيل.

أتذكر أيام اعتقالنا في استنبول مع مشكين قلم، عندما كانوا يدخلون علينا الرسائل والألواح المباركة سراً. فذات مرة، وصلتني

رسالة من أقا جان، كانت غالبية كلماتها من حضرة بهاء الله، تملؤها المحبة الشخصية لكل فرد منا. أما كلماتها الجميلة لي فكانت: (منذ رحيلك.. ورأسي كل يوم، بين يدين مختلفتين).

غمرت هذه الكلمات اللطيفة، روحي وقلبي بالسعادة والسرور.

* * *

الملحق الأول

(الحمّام)

الحمّام (كلمة عربية الأصل، مشتقة من حَمى الشيء أي سَخنّه). وهي عملية مطولة ومجهدة، لا تشبه الحمّام المعاصر. فهو يحتاج الى كميات كبيرة من الأعشاب والحطب، لتسخين مائِه وأرضيته، كما يستعمل كمكان للراحة والانتعاش، حيث يحتوي على غرف عديدة، وبدرجات حرارة مختلفة، إضافة الى باحة كبيرة، تحتوي على دكة صخرية مرتفعة، تسخن الى درجة حرارة عالية. أما السقف، ففيه فتحات زجاجية، لدخول الضوء.

من جملة الخدمات التي تقدم داخل الحمّام، هي: غسل الأجسام بالصابون وشطفها بالماء ودلكها بقفاز خشن، والعناية باليد وقص الأظافر والحلاقة، وتقديم خدمات استعمال مادة الحناء، وصبغ شعر الرأس واللحى، وإزالة شعر الجسم بطريقة سريعة.

يستطيع المتردد على الحمّام، قضاء الساعات الطوال فيه، حيث يقدم له بعد الاستحمام، الطعام والشاي والنارجيلة. ويستعمل الرجال والنساء، ذات الحمام، ولكن في وقتين مختلفين.

والمتحمم، يستعمل قطعة قماش (أزار)، مصنوع من القطن، مزين برسوم مختلفة ذات ألوان زاهية، لستر جسده عند الاستحمام[62].

الملحق الثاني

(الـهودج)

عندما نفي حضرة بهاءالله، في فصل الربيع، من بغداد الى استنبول، امتطى حصانا مطهماً احمر عربيا أصيلا، وسار مع القافلة. وفي بعض الأحيان، كان يدخل هودجه الخاص طلبا للراحة.

شملت القافلة، نحو خمسين بغلا، وعشرة فرسان مع ضابطهم، وسبعة أزواج من الهوادج، يعلو كل واحد منها، مظلتان خفيفتان، للوقاية من أشعة الشمس(63). واستغرقت الرحلة من بغداد الى ميناء سامسون، على البحر الأسود، مائة وعشرة أيام.

يتكون الهودج الفارسي، من جزئين خشبّيين، يتسع كل منها لشخص واحد، وهما مقوسان ومغطيان بالقماش ومثبتان بإحكام على جانبي ظهر الدابة.

وهنالك وسائل أخرى للسفر، مثل الكجفة (جاءت هذه التسمية، من وضعية الصندوقين المائل على ظهر الدابة)، وهما مفتوحان ومربوطان بشكل متوازن فوق الدابة.

كما يوجد أيضا، (التخت روان) الكرسي المتحرك، ويشبه في شكله، غرفة صغيرة، ذات باب وشبابيك، وهي مثبتة بعمودين، تربط في نهايتها البغال. وحسب وصف كوليفر رايز، فان طول العربة من أنف البغل الأول حتى نهاية ذيل البغل الأخير، تساوي عشرين قدما تقريبا[64]. وهي أفضل سبل السفر الإيرانية، لكنها صعبة الالتفاف عند المنحنيات. لذلك لا يرتاح إليها بعض المسافرين، خاصة، والبغال لا تسير بشكل متوازن.

* * *

الملحق الثالث

(النارجيلة)

تتكون النارجيلة الإيرانية، من دورق زجاجي كبير، يحتوي على كمية من الماء، يخرج منه عموديا، انبوب خشبي، بطول خمسة عشر انشأ، غالبا ما يكون، مزينا بالرسوم والنقوش الجميلة. ومن جانبه، يخرج انبوب خشبي آخر بشكل مائل، يستعمل للتدخين، تثبت في نهايته، قطعة معدنية فضية اللون، تستعمل لسحب الدخان من خلالها.

والتبغ الخاص بالنارجيلة، يختلف عن غيره. فيرطّب ويعصر، ويوضع في الإناء المزخرف، المثبت في أعلى الغليون، وتوضع فوقه، قطعة من الجمر، غالبا ما تؤخذ من جذور نبات التبغ.

ان عملية إيقاد فحمة النارجيلة، ليست بالعمل اليسير، فهي تتم بوضعها في سلة معدنية، مثقبة ومثبتة بحرية بسلك. توقد الفحمة، وتحرك بواسطة السلك، بشكل دائري في الهواء، حتى تتقد وتصبح جمرة، وتبدو للناظر، وخاصة في وقت الليل، إثناء دورانها في الهواء، كشعلة دائرية متصلة.

يمر الدخان، نازلا من خلال الانبوبة العمودية، متجها الى الأسفل، فيصدر (قرقرة) نتيجة اختراقه الماء داخل الدورق، ويخرج من الانبوب الجانبي، ليستقر في رئة المدخن.

ويتناوب المدخنون النارجيلة، كل حسب دوره، فيسحب المدخن ثلاثة أو أربعة أنفاس، ثم يمررها الى الشخص الجالس على يمينه[65].

* * *

الملحق الرابع

(الأندرون والبيرون)

(قسما البيت الداخلي والخارجي)

عاش الإيرانيون القدماء – موسوري الحال – في بيوت على شكل مجمعات، تحيط بها الأشجار الكثيفة والأزهار وأحواض المياه، وتلحق بها المطابخ والإسطبلات. يتكون البيت، من قسمين رئيسين، الأول للرجال ويدعى بيرون، والثاني للنساء ويسمى اندرون. ويقوم على خدمة القسم الأول، الرجال، وعلى خدمة القسم الثاني النساء.

تستعمل النساء، عند الخروج من البيت، الشادور لتغطية كامل أجسامهن، أما داخل المنزل، فيستعملن الخمار ذا الألوان الفاتحة، وبمجرد مقابلة سيدة، لرجل غير زوجها أو قريب لها، ترخي الخمار على وجهها بسرعة. ولتثبيته جيدا، تمسك قسما منه بأسنانها. وهذا الحجاب، كان يسبب للأطباء، مشاكل كبيرة آنذاك، حيث يُجْبَرْ الطبيب، بوسيلة أو بأخرى، لمعالجة النساء من خلف الحجاب، ونادراً ما تتجرأ بعضهن أحيانا، بإظهار عين متقرحة أو مرفق مجروح، من تحت الحجاب لغرض التداوي.

لا تتردد النساء على قسم الرجال، المخصص لحياتهم العامة لأي سبب، بينما خصص القسم الداخلي لحياتهن الخاصة فقط. ويتساوى القسمان من حيث الجمال والإعمار، وكقاعدة، يشيد في القسم الداخلي، الحمّام الخاص بالبيت، مع خزان الماء، الذي يملأ من جدول ماء خارجي، يمر عبر فتحة في جدار البيت.

لقد ترك لنا احد المستشرقين، ويدعى جيمس باسيت، هذه الملاحظات، عن الحياة الإيرانية، كما شاهدها[66]، حيث أمضى أربعة عشر عاما في إيران، بدأت من سنة 1871م. وذكر حسب اعتقاده، ان عدد السكان، يتراوح بين خمسة الى عشرة ملايين (لا توجد إحصائية رسمية بذلك). وان الإيرانيين ينقسمون الى جنسين، الأصليين والتيرانيين (وهم خليط من قبائل التتار والأتراك). وان غالبية البيوت، تبنى من الحجارة. كما تزين العديد من المنازل والبوابات، برسوم ولوحات لمشاهد الصيد والمناظر الطبيعية. ويعود عمر بعض هذه الأبنية الى تسعمائة عام مضت.

اعتاد الإيرانيون، ترك أحذيتهم خارج أبواب منازلهم، بينما لا يحبذ الأوربيون ذلك، لهذا ارتدوا الكالوش (وهو حذاء كبير يحتذى فوق الحذاء الأصلي)، ويخلع خارج البيت، ليدخلوا بأحذيتهم الأصلية النظيفة.

وأضاف المستشرق، فكتب عن انتشار عادة شرب الخمر بين الناس، لكن بصورة سرية، وذلك لوجود عقوبة الغرامة المفروضة على هذه الفعلة، وخشيتهم من نبذ المجتمع لهم. وعن مزاولة الرجال للعب الورق (القمار) والتدخين، داخل جزء البيت الخاص بهم، وعن الفروسية والمبارزة والصيد بالصقور.

أما عن حياة النساء في البيت الداخلي، فذكر إنهن يحتفلن بالأعياد والمناسبات، ويتناولن الحلوى ويمارسن الغيبة والنميمة، ويتمتعن بمشاهدة فرق الرقص الرجالية والنسائية، كما يستمعن لرجال الدين، وهم يقرأون لهن الآيات والأحاديث والأشعار من غرفة مجاورة. وذكر أيضا، ان السائد بخصوص زواج الإناث، زواجهن في الغالب، قبل بلوغ سن السادسة عشر، ما عدا الأرامل منهن.

* * *

الملحق الخامس

"الأسماء الإيرانية[67]"

لا يستعمل الإيرانيون، في القرن التاسع عشر، ألقابا لأسمائهم، بل أسماء عادية مثل محمد، حسين، إبراهيم، وكذلك يستعملون الأسماء المركبة، مثل محمد علي، رضا قلي، وتؤخذ غالبية الأسماء المركبة الثانية، من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، المذكورة في القرآن الكريم، مثل عبد الرحيم وغيره..

لذلك، وللتمييز بين الأشخاص، تضاف الأسماء والصفات الى الأسماء الأولى. فأسم الحاج محمد حسين أصفهاني، يشير الى ان الرجل، من أصفهان، وقد حج بيت الله في مكة. واستاد محمود البنا، يشير الى انه معلم بناء، وهكذا...

والألقاب والصفات التالية، هي قليل من كثير، تستعمل مع الأسماء الإيرانية، مثل:

أقا: سيد، اصطلاح عام يستعمل للاحترام.

درويش: رجل من أتباع المذهب الصوفي الإسلامي.

حاج: مسلم أدى فريضة الحج الإسلامية.

كاشي: رجل من مدينة كاشان.

ميرزا: اصطلاح عام للاحترام، يشير الى ان الشخص متعلم. أما إذا استعمل بعد الاسم، فيدل على ان صاحبه من طبقة النبلاء.

ملاّ: رجل دين إسلامي شيعي.

شيخ: رجل كبير السن أو رئيس قبيلة أو رئيس طريقة صوفية.

سيّد: رجل من نسل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

استاد: معلم لمهنة أو حرفة يدوية.

* * *

نبذة مختصرة عن بعض الشخصيات

الوارد ذكرها في الكتاب

ان قصص العديد من المؤمنين الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب، جاء شرحها في مطبوعات بهائية أخرى متوفرة حاليا. وكخدمة للقارئ، نورد أدناه أهم المراجع.

لم يرد هنا، كل ما جاء ذكره من أسماء الأشخاص، في مذكرات استاد محمد علي سلماني، والمصادر ليست شاملة، وأسماء الكتب جاءت بشكل مختصر:

– أبو بصير (أقا نقد علي)، مبلّغ بهائي شهير، استشهد مع سيد اشرف. انظر كتاب الذئب ص73، كتاب القرن البديع ص 199، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص226.

– الحاج عباس، ورد ذكره في كتاب تذكرة الوفاء ص 63

– أقا عبد الغفار أصفهاني، من جملة الأصحاب الذين تم نفيهم مع حضرة بهاءالله، حاول الانتحار عندما علم بنفيه الى قبرص وإبعاده عن مولاه. انظر كتاب تذكرة الوفاء لحضرة عبد البهاء ص59، وكتاب القرن البديع لحضرة ولي أمر الله شوقي

رباني ص 182، وكتاب بهاءالله لجناب حسن باليوزي ص 467، وكتاب بعثة بهاءالله لأديب طاهر زاده ج1 ص287

– الحاج أبو الحسن أردكاني (أمين الهي)، أول من تشرف بحضرة بهاءالله في سجن عكاء. انظر كتاب القرن البديع ص 187، وكتاب بهاءالله ص 398، وكتاب البابية والبهائية ص 355.

– عبد الكريم خراط أصفهاني، من أصحاب حضرة بهاءالله في عكاء. انظر كتاب بهاءالله ص 325، 330.

– عبده صالح، البستاني. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 26–28.

– ميرزا احمد، ابن ميرزا يحيى. انظر كتاب بهاءالله ص 232.

– الحاج علي عسكر، من تبريز، من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 161، وكتاب بهاءالله ص 469.

– الدكتور علي قلي خان (نبيل الدولة). مؤمن أرسل الى أمريكا، كمترجم لميرزا أبو الفضل. وأصبح فيما بعد، القائم بأعمال

البعثة الإيرانية في واشنطن، وعين عضوا في الوفد الإيراني للسلام في مؤتمر فرساي. كما عمل بوظيفة القائم بأعمال السفارة الإيرانية في استنبول، أصبح بعدها، رئيس محكمة الوصاية على البلاط الأميري الإيراني، قبل عودته الى حياته المدنية في الولايات المتحدة، بعد سقوط السلالة القاجارية.

– ميرزا علي سياح (ملا عدي الغزال). من أصحاب حضرة بهاءالله في أدرنه، نفي الى قبرص وأبعد عن سيده. انظر كتاب بهاءالله ص 468.

– أمين الدولة (فروخ خان). انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 29.

– ميرزا أقا جان (خادم الله). كاتب وحي حضرة بهاءالله، ومن أصحابه المقربين، ومن أوائل المؤمنين به. نقض العهد في نهاية حياته، وقام ضد حضرة عبد البهاء. انظر كتاب القرن البديع ص 115، كتاب بهاءالله ص 109، كتاب بهجة الصدور ص 145، كتاب بعثه بهاءالله ج 1 ص 40–315

– أقا سيد أشرف، من مدينة زنجان، ومن مشاهير شهداء الديانة البهائية. انظر لوح الذئب ص 73، كتاب القرن البديع ص

199، كتاب بهاءالله ص 470، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 223.

– بديع (أقا بزرك نيسابوري). شاب، حمل رسالة حضرة بهاءالله الى ناصر الدين شاه، ثم استشهد. انظر لوح الذئب ص 73، كتاب القرن البديع ص 199، كتاب بهاءالله ص 298.

– محبوب الشهداء (الحاج سيد محمد حسين أصفهاني)، احد أخوين بهائيين استشهدا في أصفهان. انظر لوح الذئب ص 72، كتاب القرن البديع ص 200، كتاب البابية والبهائية ص274.

– ميرزا فتح علي اردستاني (فتح أعظم)، انظر كتاب بهاءالله ص 471، كتاب بهجة الصدور ص 123.

– الحاج ميرزا حيدر علي (ملاك جبل الكرمل). مُبلّغ بهائي شهير، له كتاب بهجة الصدور. انظر كتاب بهاءالله ص 236، كتاب بعثة بهاءالله، ج1 ص 28، ج2 ص68–194.

– أقا حسين آشجي، شاب من أصحاب حضرة بهاءالله، خدمه كطبّاخ في بيته المبارك. انظر كتاب بهاءالله ص 473.

– أقا سيد حسين، من كاشان. من أصحاب حضرة بهاءالله في بغداد وأدرنه. انظر كتاب بهاءالله ص 175.

– الحاج إبراهيم، من كاشان. مؤمن متذبذب، تأرجح بين ولائه لحضرة بهاءالله ومعاشرته لأزل. انظر كتاب بهاءالله ص 156.

– الحاج أمين، من زنجان. انظر كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 242، كتاب البابية والبهائية ص 361.

– استاد إسماعيل البنا، من كاشان. من أوائل الزائرين لعكاء، انظر كتاب تذكرة الوفاء ص29، كتاب القرن البديع ص 187، كتاب بهاءالله ص 290.

– أقا جمال (اسم الله الجمال)، من مدينة بروجرد. مُبلّغ بهائي مشهور في زمن حضرة بهاءالله، نقض العهد وقام ضد حضرة عبد البهاء. انظر كتاب القرن البديع ص 247، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص118–264، كتاب بهجة الصدور ص 128–135.

– جمشيد (أقا جمشيد كرجي) من بخاري. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص120، كتاب بهاءالله ص475.

– جواد (محمد جواد قزويني) من قزوين. خطاط وكاتب وحي حضرة بهاءالله، نقض العهد بعد صعود مولاه، وقام ضد حضرة عبد البهاء. انظر كتاب القرن البديع ص247، كتاب بهجة الصدور ص 126.

– أقا كليم (ميرزا موسى). الأخ الشقيق الوفي لحضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص86، كتاب القرن البديع ص 108، انظر كذلك كتاب بهاءالله، كتاب بعثة بهاءالله ج1، ج2 في العديد من المراجع.

– سلطان الشهداء. احد اخوين بهائيين استشهدا في أصفهان. انظر لوح الذئب ص 72، كتاب القرن البديع ص 200، كتاب البابية والبهائية ص 274.

– مهد عليا. زوجة حضرة بهاءالله، والدة ميرزا محمد علي. انظر كتاب بهاءالله ص 277.

– أقا ميرزا محمود من كاشان. من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص39، كتاب بهاءالله ص 475.

– ميرزا مجد الدين، ابن أقا كليم، نقض العهد بعد صعود حضرة بهاءالله، وقام ضد حضرة عبد البهاء. انظر كتاب القرن البديع ص247، كتاب بهاءالله ص 277، كتاب عبد البهاء ص54، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص316، كتاب بهجة الصدور ص 154.

– سيد مهدي دهجي (برغوث). انظر كتاب بهاءالله ص 242.

– ميرزا مهدي قلي من كاشان، من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 95.

– مشكين قلم (أقا ميرزا حسين أصفهاني)، من أصحاب حضرة بهاءالله، خطاط بهائي مشهور. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص97، كتاب بهاءالله ص 247، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص126.

– سيد محمد أصفهاني (شيطان الديانة البهائية). انظر كتاب القرن البديع ص 112–164، كتاب بهاءالله ص 108، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 246، ج 2 ص 66 – 325.

– مير محمد، من كازرون. المؤمن الذي هيأ لاجتماع الفصل الأكبر، بين حضرة بهاءالله وميرزا يحيى في أدرنه. انظر كتاب القرن البديع ص 168.

– ميرزا محمد علي (الغصن الأكبر)، ابن حضرة بهاءالله، أخ غير شقيق لحضرة عبد البهاء، الناقض الأكبر لعهد حضرة بهاءالله، انظر كتاب القرن البديع ص 246.

– أقا استاد محمد باقر من كاشان، من أصحاب حضرة بهاءالله، توفي في الثكنة في عكاء. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 167، كتاب بهاءالله ص 156–283.

– أقا محمد باقر (قهوجي محلاتي)، من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب بهاءالله ص 156–250، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 329.

– أقا محمد حسن مسافرخاني، من قم. من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب بهاءالله ص 157–178–237.

– أقا محمد إبراهيم أمير، من نيريز، من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 94، كتاب بهاءالله ص144– 156–477.

– أقا محمد إسماعيل الخياط، من كاشان، من أصحاب حضرة بهاءالله. توفي في الثكنة العسكرية في عكاء. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 167، كتاب بهاءالله ص 156–279–283.

– الحاج محمد إسماعيل الذبيح، من كاشان، من أوائل المؤمنين. انظر كتاب القرن البديع ص180، كتاب بهاءالله ص253– 260–264، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص411.

– ميرزا محمد قلي، الأخ الوفي غير الشقيق لحضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص70، كتاب القرن البديع ص 108، كتاب بهاءالله ص14، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 15

– الحاج محمد رضا، من أصفهان. شهيد عشق آباد. انظر لوح الذئب ص 77، كتاب القرن البديع ص202، كتاب البابية والبهائية ص196.

– أقا محمد صادق، من أصفهان من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب بهاءالله ص 478، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص287.

– ميرزا أقا منير (اسم الله منيب) من كاشان. من أصحاب حضرة بهاءالله. توفي خلال الرحلة من أدرنه الى عكاء. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص145، كتاب القرن البديع ص182، كتاب بهاءالله ص157–176–479، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 283، ج2 ص72، كتاب بهجة الصدور ص13.

– ميرزا مصطفى من كاشان. شهيد بهائي في تبريز. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 148، كتاب بهاءالله ص 204–237.

– نبيل (نبيل أعظم) من زرند. من كتّاب وحي حضرة بهاءالله، مؤلف أشهر كتب التاريخ البهائي (مطالع الأنوار). انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 32، كتاب القرن البديع ص 130، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص202. كذلك العديد من المراجع في كتاب بهاءالله.

– أقا نجف علي من زنجان. من أصحاب حضرة بهاءالله، استشهد فيما بعد في طهران. انظر لوح الذئب ص73، كتاب

القـرن البـديع ص178، كتـاب بهـاءالله ص 144، كتـاب بعثـة بهاءالله ج2 ص222، كتاب بهجة الصدور ص 15.

– ميـرزا نصـر الله، أخ زوجـة ميـرزا يحيـى أزل. انظـر كتـاب بهاءالله ص 236، كتاب البابية والبهائية ص19.

– نـواب (آسيا خانم)، (الورقـة المقدسـة المطهرة). انظر كتاب القرن البديع ص108، كتاب بهاءالله ص 17–369، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص15.

– ميـرزا نـور الله، ابـن ميـرزا يحيـى أزل. انظـر كتـاب بهـاءالله ص 390.

– رضا بهلوان البطل. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 1670

– أقا رضا قناد (أقا محمد رضا قناد من شيراز)، من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 39، كتاب بهاءالله ص478، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص288.

– ميـرزا رضـا قلـي مـن تفريش. أخ زوجـة ميـرزا يحيـى ازل. انظـر كتـاب بهـاءالله ص 236–320، كتـاب البابيـة والبهائيـة ص19.

– ساذجية خانم، ابنة حضرة بهاءالله. توفيت وهي رضيعة. انظر كتاب بهاءالله ص 203.

– الشيخ سلمان، مؤمن، عمل كمراسل لحضرة بهاءالله، مدة أربعين عاما، يحمل الألواح والرسائل بينه وبين أتباعه في إيران. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 13، كتاب بهاءالله ص 226–344–441، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص 109–255.

– درويش صادق علي، من قزوين، من أصحاب حضرة بهاءالله. انظر كتاب بهاءالله ص482، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص289، ج2 ص164، كتاب بهجة الصدور ص71.

– منقي القمح (ملا جعفر أصفهاني). أول مؤمن بابي من أصفهان. انظر كتاب مطالع الأنوار ص99، كتاب الباب ص 50

– ميرزا سليمان قلي (كاتب الرحمن) من طهران، شهيد بابي. انظر كتاب بهاءالله ص 88.

– أم أشرف، والدة سيّد أشرف. انظر كتاب مقتطفات ص 135، كتاب الذئب ص 73، كتاب بعثة بهاءالله ج2 ص 223.

– ميرزا يحيى (صبح أزل). الأخ الخائن غير الشقيق لحضرة بهاءالله. انظر كتاب الذئب ص166، كتاب القرن البديع ص 112 –163، كتاب بهاءالله ص14–187، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص53–246. انظر كذلك العديد من المراجع في بعثة بهاءالله ج2.

– زاهي (زاهر). انظر كتاب القرن البديع ص164، كتاب بهاءالله ص 183–224.

– زين المقربين (ملا زين العابدين)، من نجف آباد. من حواريي حضرة بهاءالله. انظر كتاب تذكرة الوفاء ص 150، كتاب القرن البديع ص130، كتاب بهاءالله ص 120، كتاب بعثة بهاءالله ج1 ص25، ج2 ص335، كتاب بهجة الصدور ص 5

الحواشي

(1) منقي القمح، ملا جعفر أصفهاني.

(2) يبدو ان هذه المذكرات، كتبت في أواخر سنيّ حياة الكاتب. (المترجم).

(3) سيد بصير هندي. انظر "كتاب التاريخ الجديد" ص244–388

(4) انظر "كتاب القرن البديع" ص136، "كتاب بهاء الله" ص132، "كتاب بعثة بهاء الله" ج 1 ص101

(5) منع حضرة الباب، التدخين صراحة، في بدايته دعوتة. فامتنع بذلك كل أتباعه. وبسبب جوّ الحذر والترقب والشك، ولتعرض كل من يمتنع عن التدخين في ذلك الوقت، لتهمة البابية ثم للتعذيب والاضطهاد وحتى القتل. اضطر بعض المؤمنين مجبرين آنذاك، للتدخين كنوع من الحكمة. ولأسباب معينة، دخّن حضرة بهاء الله، أيام الأمر المبارك الأولى قليلاً. أما بعد نزول كتاب الأقدس، فلم يحرّم حضرته تناول الدخان علانية وبشكل صريح، لذا لم يترك المؤمنون الدخان مرة ثانية، ومع ذلك، بقي حضرته يشير الى كراهية استعمال الدخان، وانقطع عنه في النهاية تماماً، وبذلك، امتنعت بقية النفوس المقدسة التي أطاعته في كل شيء وفي كل الظروف. انظر لوح الطهارة، لحضرة عبد البهاء في كتاب (ذي بهائي وورد فيذ) ص 334

(6) عمو، كلمة يستعملها القرويون الإيرانيون دلالة على الاحترام.

(7) انظر الملحق الأول الخاص بالحمّام.

(8) الوشاش، مزرعة تقع في ضواحي مدينة بغداد.

(9) انظر "كتاب القرن البديع" ص 147، "كتاب بعثة بهاء الله" ج1 ص228

(10) ميرزا يحيى، ويدعى أيضاً صبح أزل، الأخ غير الشقيق لحضرة بهاء الله، تمرد عليه في النهاية، وقام على معاداة سلطته، وأصبح ناقضا لعهد حضرة الباب، الذي عيّنه بنفسه خليفة له، ليبدو كقائد وحيد للبابيين حتى مجيء "من يظهره الله". (انظر "كتاب القرن البديع" ص28–29–233)

(11) وصل حضرة بهاء الله، الى بغداد، قادماً من طهران، في ابريل سنة 1853م، وغادرها الى استنبول، في ابريل سنة 1863م.

(12) انظر الملحق الثاني (الهودج).

(13) رافق بعض الأشخاص، حضرة بهاء الله، في رحلته، لأسباب عديدة، أهمها محبتهم العظيمة لشخصه الكريم، وعدم استطاعتهم تحمل فكرة فراقه والابتعاد عنه، مفضلين ترك كل شيء وراءهم، ومرافقته. (المترجم).

(14) بائع التبغ والدخان.

(15) انظر "كتاب بهاء الله" ص 156

(16) بقي صبح أزال، يختبئ ويغيّر اسمه وشخصيته وهيئته، خوفا على حياته، منذ حادثة الاعتداء على حياة ناصر الدين شاه حاكم إيران. لذلك، كان دائم الابتعاد عن حضرة بهاء الله، الذي عاش حياة طبيعية مع الناس. (المترجم).

(17) حسب ما ورد في "كتاب القرن البديع" ص 164 النسخة الإنكليزية.

(18) ان خط سير القافلة كان من كركوك الى الموصل. حسب ما ورد في كتاب جناب أيادي أمر الله حسن باليوزي في كتابه "بهاء الله" باللغة الإنكليزية ص158. (المترجم).

(19) كانت القوافل في الأيام السالفة، تسافر على شكل مجموعات، درءا لأخطار قطاع الطرق. (المترجم).

(20) الشيخ محي الدين، قاضي مدينة خانقين في العراق.

(21) يلاحظ القارئ، سرد الكاتب للتسلسل الجغرافي غير الصحيح لخط سير قافلة الركب المبارك. أما حقيقة سير الموكب المبارك خلال كبريات المدن، فكان: بغداد/قره تبه/دوز خورماتو / كركوك/اربيل/نهر الزاب/برطيله/الموصل/زاخو/ماردين/ديار بكر /خربوط/معدن نقرة/سيفاس/سامسون. (المترجم).

(22) سافرت زوجات أزل وأبناؤه، مع الركب المبارك وتحت رعاية حضرة بهاء الله. بينما بقي أزل يسافر متخفياً. لذلك نراه يزور عائلته متخفياً بين الفينة والأخرى. (المترجم).

(23) بسبب عدم معرفة الأصحاب البابيين، ان حضرة بهاء الله، هو المظهر الإلهي القادم، وهو "من يظهره الله"، الذي يرمز إليه حضرة الباب في آثاره وكتاباته، فلقد منع حضرة الباب على أصحابه أكل البصل وأمور أخرى عديدة، مراعاة لعدم إزعاجهم حضرة بهاء الله، حيث كان يكن له أعظم الاحترام والتقديس. بينما حللّه حضرة بهاء الله فيما بعد. (المترجم).

(24) كانت العادة الجارية في تلك الأيام، حلاقة البالغين من الرجال، لشعر رؤوسهم بالموسى بشكل تام. أما في الديانة البهائية فقد حرّم هذا الفعل. (المترجم).

(25) انظر "كتاب القرن البديع" ص 157، "كتاب بهاء الله" ص 195.

(26) مؤلف الكتاب البهائي التاريخي المشهور (مطالع الأنوار).

(27) سيّد محمد أصفهاني. العدو اللدود للديانة البهائية، وناقض عهدها، ومحرض وغاوي ميرزا يحيى أزل في التمرد ضد أخيه حضرة بهاء الله.

(28) انظر "كتاب القرن البديع" ص 157، "كتاب بهاء الله" ص 201.

(29) انظر "كتاب بهاء الله" ص 201.

(30) الضابط التركي علي بك. انظر "كتاب بهاء الله" ص 205.

(31) يقع هذا البيت، قرب تكية لجماعة أحد مشايخ الطريقة الصوفية، ويدعى جلال الدين الرومي، عاش في القرن الثالث عشر الميلادي.

(32) انظر "كتاب القرن البديع" ص 166.

(33) حسين كرد، رجل خارج على القانون. أصبح مع مرور الوقت، رجلا قوياً ومشهوراً جداً، بحيث أخذ يعقد جلسات محاكماته خلال الليل، بكل جرأة وبصورة علنية، في أسواق مدينة أصفهان.

(34) هذه إشارة الى أزل. فهو يعتبر أحد مرايا الدورة البابية.

(35) يختلف هذا اللوح، عن اللوح العربي المشهور في الغرب، والذي يحمل نفس الاسم.

(36) وقت كتابة هذه المذكرات.

(37) انظر "كتاب القرن البديع" ص 166، "كتاب بهاء الله" ص 227، "كتاب بعثة بهاء الله" ج 2 ص 158.

(38) تزوج أزل، ست نساء على الأقل، ترك ثلاث منهن في إيران، بعد فراره الى بغداد.

(39) ميرزا حيدر علي، مؤلف كتاب "بهجة الصدور".

(40) الشيخ أحمد خراساني. أنظر "كتاب تذكرة الوفاء" ص 149، "كتاب البابية والبهائية" ص 251، "كتاب بهاء الله" ص 237.

(41) يعادل التومان الإيراني، دولارين في ذلك الوقت.

(42) حقوق الله، هي أموال يقتطعها البهائيون من أرباحهم السنوية بنسبة (19%) بالمائة، لتقدم الى حضرة بهاء الله سابقا، والمعهد الأعلى حالياً، لتصرف في أعمال الخير.

(43) انظر "كتاب بهاء الله" ص 248.

(44) يؤمن البهائيون، أن حضرة الباب، هو المهدي المنتظر، موعود المسلمين السنّة (إضافة الى أنه عودة الإمام الثاني عشر). أما حضرة بهاء الله، فقد حقق بظهوره نبوءات أهل السنة بعودة السيد المسيح عليه السلام.

(45) شيخ الإسلام: هو كبير علماء المحكمة الشرعية. ويعيّن بأمر الشاه، لكل مدينة على حدة.

(46) انظر "رسالة ابن الذئب" ص 108، "كتاب بهاء الله" ص 398.

(47) نقض سيد مهدي دهجي العهد، بعد صعود حضرة بهاء الله، فلقبه حضرة عبد البهاء بـ (تخته خنّاس)، وتعني باللغة الفارسية، "برغوث الفراش"، وذلك بسبب عناده وصلفه. أما لقب "اسم الله المهدي"، فقد منحه إياه، حضرة بهاء الله. أنظر "كتاب بهاء الله" ج2 ص 272.

(48) ميرزا محمد حسن أصفهاني (سلطان الشهداء)، وأخوه ميرزا محمد حسين (محبوب الشهداء). أنعم عليهما حضرة بهاء الله، بهذين اللقبين، بعد استشهادهما في سبيل الأمر المبارك سنة 1879م. استشهدا بتحريض من إمام جمعة أصفهان. أنظر

"كتاب تذكرة الوفاء" ص 173–181، "كتاب القرن البديع" ص 200، "كتاب الديانة البابية والبهائية" ص 274.

(49) أُرسِلَ علي قلي خان الى الولايات المتحدة الأمريكية، بأمر من حضرة عبد البهاء في سنة (1901م)، كمترجم للفيلسوف البهائي، ميرزا أبو الفضل.

(50) توفي جدي، الذي أصبح مختاراً في طهران، بعد تركه مدينة كاشان، وعمر والدي، أربعة عشر عاما فقط، وقبل وقت طويل، من وصوله الى الولايات المتحدة الأمريكية. وبالطبع، ان سلماني، يتذكر جيداً أيام الظهور الأولى.

(51) وتدعى مريم، وهي من زوجات أزل، اللائي تركهن في إيران، بعد هربه الى بغداد.

(52) (بديع) أقا بزرك الخراساني، شاب مؤمن يافع، سلَّم رسالة حضرة بهاء الله "السلطانية" الى ناصر الدين شاه. أنظر كتاب القرن البديع ص 199.

(53) مؤمن ثابت، استشهد في سوق عشق آباد، في تركستان من مقاطعات روسيا، على يد مسلمين متعصبين سنة 1889م. أنظر "كتاب القرن البديع" ص 202، و "كتاب الديانة البابية والبهائية" ص 296.

(54) أخ لحضرة بهاء الله.

(55) لم يعرف أزل بهذا الاسم في تلك الأيام. بل كان يطلق على نفسه (ميرزا علي)، توخياً في الحيطة والحذر، وخوفا من اكتشاف شخصيته.

(56) انظر "كتاب القرن البديع" ص 168، "كتاب بعثة بهاء الله" ج 2 ص 291–300.

(57) انظر "كتاب القرن البديع" ص 167، "كتاب بهاء الله" ص 232.

(58) عملة تركية قديمة، ومفردها "مجيدي".

(59) الأغصان: هم أنجال حضرة بهاء الله. حضرة عبد البهاء (الغصن الأعظم)، ميرزا مهدي (الغصن الأطهر)، محمد علي (الغصن الأكبر)، ميرزا بديع الله، وميرزا ضياء الله المولود في أدرنه.

(60) دخّنَ الأصحاب النارجيلة، في أدرنه بعض الأحيان. ونادرا ما أخذها حضرة المولى بيده. إما في عكاء، فقد انقطع استعمالها.

(61) جمال بروجرد، مُبلّغ بهائي كبير خلال حياة حضرة بهاء الله، تمرد ضد ولاية حضرة عبد البهاء، وأصبح من أشد الناقضين للعهد. أنظر كتاب القرن البديع ص 247–248، وكتاب قصص من بهجة الصدور ص 128–129، 136–143، كتاب بعثة بهاء الله ج2 ص119، 264.

(62) انظر على سبيل المثال، كتاب النساء الإيرانيات وعاداتهن لكوليفر رايس، طبعة لندن سنة 1923.

(63) انظر كتاب القرن البديع ص 155.

(64) انظر كتاب النساء الإيرانيات وعاداتهن ص 211.

(65) انظر كتاب (إيران والإيرانيين) لبنجامين المطبوع في سنة 1887 م، كتاب إيران في الماضي والحاضر، لجاكسون المطبوع في سنة 1906م.

(66) انظر كتاب إيران أرض الأئمة، لجيمس باسيت المطبوع في سنة 1887م.

(67) انظر شرح الكلمات البهائية.

" المحتويات "

1 – نبذة عن حياة الكاتب

2 – المقدمة

3 – كلمة المترجم

4 – المحتويات

5 – مذكراتي

- حكاية إيماني
- مغادرتي أصفهان
- في بغداد
- الرحلة الى استنبول
- في استنبول
- في أدرنه
- مؤامرات ناقضي العهد
- بداية المتاعب
- اعتقالي وإبعادي
- من أصفهان الى عكاء
- وصولي الى عكاء
- ذكرياتي في أدرنه

6 - الملحق الأول (الحمام)

7 - الملحق الثاني (الهودج)

8 - الملحق الثالث (النارجيلة)

9 - الملحق الرابع (الاندرون والبيرون)

10 - الملحق الخامس (الأسماء الإيرانية)

11 - نبذة عن الشخصيات
الوارد ذكرها في الكتاب

12 - المراجع

النـهايـة